حكايات بلدنا

حُقُوقُ الطَّبْعِ مَحْفُوظَةٌ

اسم الكتـــاب: حكايات بلدنا
تـأليـــــف: د. عبد الناصر النجار
غلاف: عبير سعد
تصميم داخلي: سالم عبدالمعز سواح
سنة النشر: 2025
النـاشـــــر: دار الزيات للنشر والتوزيع
القطع: 14*20

تم الإيداع بدار الكتب والوثائق المصرية برقم: 3593 / 2025

الترقيم الدولي (ISBN): 978 - 977 - 844 - 606 - 7

دار الزيات للنشر والتوزيع

المشهرة قانونًا بسجل تجاري رقم/ ٤٩٣٥١

ت: ٠١٠٦٦٧٣٦٧٦٥ - ٠١٠١٥٧٦٦٠١٤ / shahnda71@gmail.com

9 789778 446067

حكايات بلدنا

د. عبد الناصر النجار

سيرة ذاتية

الإهداء

إلى روح أبي تلك الروح الزكية التي ألهمتني مسيرتي في الحياة

إلى جيناته التي ورثتها عن عمد ورضا وسعادة

وإلى روح أمي الطاهرة

تلك التي عشت تحت ظل دعواتها وهي في أرض الدنيا

وتحت بركة رضاها وهي في العالم الآخر..

إلى شيخي الذي علمني القرآن وأول مُعلم بشرني بالنصر

إلى عدد لا حصر له من المعلمين والمربين والناصحين

إلى الذين كانوا خيطًا في جلباب الحياة صُنع بدقة ورونق وجمال

إلى هؤلاء الذين إن مروا بخاطري

ترحمت على أمواتهم ودعوت بالخير لأحيائهم

إلى كل الذين شاركوا في صناعتي

حتى يكون مني جزء جيد وربما مفيد

إلى الذين أحبهم من المتصالحين مع أنفسهم ومع الدنيا

أُهدي كلماتي..

د. عبد الناصر النجار

(١)

رغم البعاد

أنا ليه بحب بلدنا رغم إني بعدت عنها ما يقرب من ٤٠ سنة؟

الحقيقة إن طفولتنا وشبابنا هي أيام سعدنا، أضف عليها سنوات الجامعة، ثم تبدأ طاحونة الحياة..

احنا بنحب أيام ما كانت أقصى مسؤولية نحملها هي شوية مذاكرة، وأكبر قلق هو شوية درجات، وحِملك محدوف كله على حد غيرك، هي دي الأيام الحلوة.. أيام مفيش فيها مسؤولية حقيقية.

عندما يَحِل الشتاء ببرده القارص تجد أن البطانية المخرمة في حضن أمك أو نينتك أو إخواتك شعور تاني..

شنطة المدرسة القماش والبرد اللي عند دار السيد عطوة، العودة إلى البيت عند الظهر وأمي أمام الوابور وعليه البطاطس "أم دِمعه" وصوت دفء العودة..

مشوار تصليح الوابور عند فوزي، تلك الرحلة التي تبدأ في الصباح ولا أعود حتى العصر لأني مبهور بماكينة حل فونية الوابور، أو لقاء مع الأوشي وهو يلحم عِدد البوابير القديمة، ويا لسعادتي لما عرفت فيما بعد أن هذا مخلوط الثرميت..

بيت صاحبى حسين واحنا بنحاول نلعب تحت مسمى علمي كاذب، ونجيب الملاية بتاعة أُمه نعلقها على الحيطة علشان نشوف صورة الشمعة المنعكسة أمام العدسة المحدبة..

المحاولات الكاذبة أن بطني وجعاني علشان مروحش المدرسة لأن الدنيا برد، وطعمية أبو خطاب، ولب المسلماني، وكانتين عم وِدّ..

الأساتذة الكفراوي وسيد شمس والإمام نعيم والعفيفي عسكر وحامد خليفة وأحمد لطفى ومحمد حبيب وكثيرين..

زملاء الطفولة وزميلات البراءة وحب لم يعرف الخطأ، نتيجة الامتحان، والقلم الفرنساوي الهدية، وناظر المدرسة ينادي أول الأوائل عبد الناصر النجار..

عمي وعمتي، خالي وخالتي ونينتي..

دار أبويا طه وأبويا محمود وأبويا علي..

ولاد عمي ولحظات التخويف أو الطمأنينة..

شارعنا بين زخات المطر وحفرات الطين..

الشباك المكسور زجاجه منذ ألف عام ولم يتغير، وكل شتاء نضع عليه ورقة مقواه من نتيجة العام الماضي..

قهوة عم فتحي الحسانين، واليوم المفتوح والجلوس أمام التلفزيون اليوم بطوله..

عودتي إلى البيت خائفًا أترقب أن يراني أبي بعد أي جريمة في حجم عود الثقاب..

فول عم شطا، وطماطم نينتي تحية، والبلح من عند نينتي لُطفية..

جامع البلد الكبير وأول صلاة وأختي تقف على الباب حتى تعيدني إلى البيت..

الشيخ حامد أبو إسماعين وتحفيظي القرآن، مسابقة القرآن مع الفوز بإتنين جنيه ونص..

رمضان وأول صيام ولحظة الإفطار وانقطاع الكهرباء..

صلاة العيد والعيدية..

إنها حياتنا الأولى..

كل اسم من هؤلاء، وكل حدث، يحتاج وحده صفحة للكتابة تبدأ من قريتي وتنتهي حيث أُقيم..

إنّ تاريخنا الحقيقي الذي نعشقه هي تلك الأيام الأولى التي تمتعنا بها وسعِدنا.. وهكذا سيحكي مَنّ بعدنا..

تلك أعظم أيام العمر في قريتي التي أحببتها..

عائلتي وطفولة مُبكرة

(٢)

الحلوة وهيبة وغالية

أمي وهيبة هي اللي أنا عايش طول العمر في بركة دعاها، وجدتي غالية -أم أبويا- أستطيع أن أجزم أنها كانت أم أخرى لي.

جدتي غالية زي كل الجدات بتحب خلفة الولاد عن البنات، لما أمي ولدتني -وأنا كنت آخر العنقود والسلالة المقدسة- الداية ال ولدتها كان اسمها مسرات -اسم يفتح النفس ويجيب البهجة- جدتي سألت الداية وهيبة ولدت إيه؟؟ قالت لها ولد..

الصحة دبت في مفاصل نينتي وطلعت السلم جري علشان تاخد المولود تِلِفُه، والداية كانت مستعجلة كانت مرات عم شحاتة بتولد، وولدت ابنها محمد اللي أصغر مني يا دوب بمسافة السكة من بيتنا لبيتهم.

جدتي شالتني وقعدت في جنب وكل حد يسألها وهيبة ولدت إيه؟ تقول الحمد لله كله رزق.. جابت بنت.

حتى عمي محمود ابنها قالت له بنت وهو لسه سائل أبويا وقال له ولد، فصرخ فيها:

- ليه يا أَمّا بتكذبي عليا وتقولي بنت ما أنا عندي ولاد أنا كمان..

ضغطت على شفتها وقالت:

- بس يا ولا.. ما أنا قلت لك ولد تلاقيك إنت مسمعتش..

كانت غالية تتمنى أن ترضعني رغم أن آخر خلف لها عدى عليه فوق العشرين سنة، وضعت يدها تطمئن على نَفَسِي وأنني مازلت حي -سلو بلدنا كده- فإذا بي غارق في الدم النازف من الحبل السُري، ولوني أزرق؛ فقد نسيت الداية مسرات وهي في غمرة استعجالها أن تربط الحبل السُري بتاعي وأسرعت في الذهاب لحالة الولادة الأخرى.

واصرخي يا غالية لمي علينا أُمة لا إله إلا الله..

ويجيلك ويتحط عليكي يا مسراااات..

(٣)

السر

"مينفعش الحمل دا يكمل" جملة قالها الطبيب لأمي في عام ١٩٦٦.

يا حاجة إنتي عندك روماتيزم في القلب، وضيق في الصمام الميترالي وحياتك عُرضه للخطر، لازم ننزل الجنين..

كنت أنا هذا الجنين المُزعج منذ البداية، حاولت الهروب بكل الطرق لكن الأقدار كانت تُصر أن أزور هذا الكون الفسيح، كلمت أمي أبي رافضةً التخلص مني وقالت:

- الحمل بيتحرك دا بقى فيه روح.

نعم كان الملاك قد نفخ فيّ الروح وصِرت حيًا، قال أبي دي مشيئة الله، إنتي متعرفيش دا ممكن يبقى إيه..

كانت تعطيني من حياتها كي أعيش وهي تعلم أنها قد تفارق الحياة لحظة مولدي.

يناير ١٩٦٧.. الأم في حالة المخاض، الداية والمية السخنة والخوف يملأ المكان، وجدتي تصرخ فرِحَة بي دا ولد.. ولد.. رغم أني آخر الفريق الذي أنجبه أبواي وفيه أولاد غيري، إلا أنني كنت عندهم آخر العنقود.

"دفوه لأحسن يبرد" قالتها جدتي وهي تخفيني من الأعين والتفتت لأمي التي كتبت لها الأقدار حياة جديدة..

في مذكرة لأبي قرأتها يومًا وجدت كلمته بخط يده، مدونة بتاريخ مولدي، رزقنا اليوم بمولود واسميناه "عبد الناصر".

فبراير ١٩٩٤ لحظة الفراق.. سبع وعشرون عام وأنا من فضل الله عليّ كنت عبدًا لها، كنت أنام تحت قدميها وأضع باطن قدميها أمام وجهي وأنا نائم، وكلما استيقظت قبلتهما.

كنت أرى في عينيها الرضا.. كل الرضا، وكلماتها التي طالما رافقتني فكانت ضياءً في مسيرتي..

روح يا عبد الناصر يا ابني يحبب فيك خلقه حتى الحصى في أرضه.. روح يا ابني يرضيك ويغنيك وتعطي للناس من غِناك.. إلهي يوقفلك ولاد الحلال، ويجبر خاطرك عند العبد وعند الرب.

هذه دعواتها التي تحققت ورأيتها رأي العين، هذا هو الدرع الحصين الذي أعيش داخله..

حين جاءها ملك الموت كنت أموت كل لحظة لفراقها، أمسكت بعنقي وقالت لي كلمات لن أنساها أبدًا، هي سر بيني وبينها..

غابت عن الدنيا وقد تركت لي دعواتها التي جبرتني وسترتني ورزقتني.. غابت وظل رضاها سماءً أستظُل بها، دفنتها بيدي وكان قلبي يُنزع من بين جنباتي ولو خُيرت ساعتها لرقدت إلى جوارها.

اللهم ارحمها رحمةً ترضى بها عنها.. اللهم أدخلها الجنة وألحقني بها أخدمها فيها فإنك تعلم أني لها نِعم العبد.

اللهم اكتب لي بِرها واكتب لها صبرها وألحقها بالصالحين.

(٤)

مازلت أراها

تقف على ناصية الشارع باكية تنادي نادل المقهى أن يأتيها بكوب ماء ساخن لتصنع لي الرضعة وأنا أتضور جوعًا -واضح إني كنت مُتعِب من يومي.

أبي في مدينة المنصورة ولن يأتي حتى آخر النهار، حرارتي مرتفعة وأصرخ من ساقي الذي لا يتحرك وأمي تبكي بشدة..

جدتي غالية -هذا اسمها- وهي جدتي لأبي ترتعد في وصف لا يعرفه إلا الذي رآها، زلزال بشري يهزها، أنا آخر أولاد ابنها الأكبر محمد، وأنا ذكر.. وللذكور عندها سعر غير الإناث في سوق ذلك الزمان..

تصرخ في أمي وتقول:

- ناصر فيه حاجة.. دي رِجْلُه مبتتحركش.. حالًا تاخديه وتروحي لدكتوره الدكتور السيد عبد الله في مدينة دمياط.

تركب أمي السيارة في عُجالة، وأنا أبكي من الألم حسب روايتها، تصل وحدها للطبيب المعالج الذي اعتدت أن أتابع عنده.

يكشف الطبيب ويبدو عليه الانزعاج، يقول لازم العلاج ده ييجي حالًا و ياخد منه ويجيني تاني بعد ٧٢ ساعة.. أنا خايف يكون شلل أطفال..

تنهار أمي الغالية وهيبة من البكاء، تنزل إلى الصيدلي القريب لشراء الدواء، كرتونة العلاج غالية جدًا.. يعني لو خلفوا عيل جديد كان يبقى أرخص..

أمي ليس معها هذا المبلغ في مشوار الكشف، لكنها لابد وأن تعطيني العلاج، سألت الصيدلي ممكن آخد جزء وأبوه ييجي بكره ياخد الباقي؟! يقول الصيدلي لازم ياخد العلاج كله..

تخلع أمي الحلق الذهب من أذنها وتعطيه للصيدلي، فيأخذ الحلق على سبيل الأمانة ويسلمها العلاج وهو كمية كبيرة، تخرج فَرِحة أنها أحضرت العلاج، لكنني لا أكف عن البكاء..

تذهب إلى مقهى موجود في الميدان، تقف إلى جانبه وتنادي النادل:

- من فضلك عايزة كوباية ماية سُخنة أعمل للولد رضعة.

يحضر لها ماء ساخن وكوب ينسون وماء فيه قطعة ثلج، ويضع لها كرسيًا على جانب الطريق بعيدًا عن قاطني المقهى، تصنع لي الرضعة، ترضعني وتعطيني الدواء الذي أظن أنه كان يحتوي على مهدئ أو مسكن لأنام على كتفها..

يرفض النادل أخذ مال من سيدة غريبة، يوقف لها تاكسي لتركب..

كل هذا وهي مصابة بضيق بصمام القلب..

تعود مجهدة.. تعتذر من أبي أنها خرجت دون إذنه، تسبقها جدتي بإلغاء دور أبي وتسأل:

- الدكتور قال إيه؟ ماله ناصر؟!

يقف أبي قلقًا على التشخيص، تحكي أمي وتنهار من البكاء، تحملني جدتي وهي ترتعد، وأمي تحكي لهم أنها رهنت الحلق علشان العلاج طلع غالي جدًا.

ثلاثة أيام بعدها.. يطمئنهم الطبيب، ويعود الحلق إلى أُذن أمي وهيبة، وتحملني جدتي من يد أمي وتتراقص وهي تحملني ثم تدعو لي..

- آكل جناك وأشتال ضناك يا ناصر يا ابن قلبي..

هكذا كانت تشعر جدتي بحبي.. ويمر ثلاثون عامًا على هذه اللحظة، كان أبي وأمي قد غادرا الحياة منذ سنوات، لكن جدتي غالية -رحمها الله- عاشت لتحمل أولادي جميعًا وتطعم من أيديهم..

(٥)

أنا وأمي والنوق الحمر

كان الشتاء في قريتنا له فعل السحر في نخر العظام النخرة، وكانت الأرض ترابًا يحولها المطر إلى قيعان وطين، وكان صوت حبات المطر وهي نازلة "ترُخ.. ترُخ" على قرعة بنت الأخت أحد مركبات الصداع الأزلي..

كان الهواء يحملني ببساطة ليلقيني في شط السيد عطوة فقد كنت شحيح الشحم خفيف اللحم، حاجة كده فيما تحت التلاتين كيلو، وفي الشتاء وكما هو الحال دومًا في قريتنا الرياح من النوع الذي يخلع الشجر، فما بالك بوزن الريشة!!

الذهاب إلى المدرسة نوع من العذاب، مالها النومه والدفا وإنت مغروز وسط إخواتك يأتيك الدفء من كل مكان!! حتى لو شد أحدهم الغطاء وانكشف الآخر، فأنت مازلت في المنتصف محسوب على دول عدم الانحياز..

أو يكون الدفء الأكبر حين تكون في حول دولة الانحياز العظمى.. حضن أمي حيث لا يعرف البرد طريقي أبدًا.

لكن قوانين التعليم في البيت كانت صارمة، صباح بارد يبدأ بشراء الفول والطعمية من وسط البلد من عند عم شطا، ثم شوية شاي من الكنكة قاربت على الغليان على الوابور..

تلك الكنكة التي تُذكرك بآثار مصر القديمة، وهي كنكة متهالكة كُسرت يدها في حادثة رمي على أحدنا غالبًا، أو في عاركة داخلية وتحس أنها صُدمت في تريلا لأنها واخده خبطة جامدة في الشاسية، ولما تتحط على الوابور تحس إنها بتتحنجل، بل تراها في وضع معووج يفكرك بحكمة بلدنا "أُقف معووج واتكلم عِدل"

كانت الكنكة لا تقوى على الوقوف العِدل من آثار الزمن عليها، لقد شاركت في حروب كثيرة حالة غضب أحد الكبار، لقد كانت في بعض اللحظات -أيام كان لها يد تحيا- أداة بطش رائعة.

لكنها رغم هيبتها المُخيفة ووقفتها العِوجة إلا أنها كانت تصنع أعظم شاي في التأريخ..

شاي بطعم حنان أمي، وصوت شرب الشاي المحرم دوليًا يُعطيك من دفئه وحنانه ما لا يُعطيك نبات الخشخاش..

كوباية شاي أمي هي التي صنعت عبقرية الجميع..

لكن الطريق إلى المُجمع حيث المدرسة والتعليم الذي أحبه، وبنات البلد اللي زي القمر اللي يفتحوا النفس إنك تروح المدرسة حتى يوم الجمعة، كل هذا كان مما يُصبر على قسوة الرياح العاتية..

وينتهي اليوم في الساعة الثانية عشرة والنصف وأعود وكأن المطر قد حبسته السماء حتى وقت الخروج، والرياح وقد حُبست عند عزبة النيل العليا حتى خروجنا من المدرسة.

ثم ها هي بوابة السماء تُسقط ماءها، وسدادة الرياح عن العزبة حد يشيلها، وتفعل بنا الأمطار والرياح وطين الأرض وخفة الملابس ما فعلت بعنترة العَبْسي يوم ذهب طالبًا النوق الحُمر مهر عبلته أو هبلته..

وأنقذني يا شيبوب..

لكنني حين أصل إلى البيت لأجد فيه أمي حيث قصر الملك النعمان، وحيث النوق بكل ألوانها، هنا الدفء والحنان والأمان.

وعلى جانب هذا كله صوت الوابور يعوي مطمئنًا، ورائحة اللحم، وأنين قطع البطاطس الحانية مع أزيز طائرات معدتي الذي ينادي.

وأمي وهي ترقبني وأنا مثل الفرخ المبلول، وترفع الغطاء وأنا أهيم عشقًا فيها وفي الطبق الذي في يدها، وفي شوية الرز وعليهم شوية شوربة..

"ويا ما أسعدك يا كور عند اللي اشتراك" لو وصلت وحدي قبل أُختي إيمان، فإن الكِبدة وربما معها الأونصة تكون من نصيبي، وحبذا لو كان يوم الخميس فغدًا لا مدرسة ولا صحيان بدري، ولا حتى مشوار الفول والطعمية في صبيحة الجمعة، فأمي سوف تطعمني ما تبقى من لحم وفتة..

وحاجة كده لو عرفتوها تبقوا عمد..

(٦)

الليلة الكبيرة

ليلة نتيجة الثانوية العامة وملاحظة غريبة لاحظتها، ليلة كل نتيجة ثانوية عامة في بيتنا وأنا حضرت أربعة من إخواتي، أمي تطبخ كُشري، متفهمش إيه السبب؟!

يمكن يكون قلق، جايز يكون كسل، أو يمكن إخواتي الكبار جابوا مجموع عالي وكانت يومها طابخة كُشري فاستبشرت.

لكن الحقيقة المؤكدة إن اليوم اللي قبل النتيجة لازم نكون طابخين كشري.. والكشري الدمياطي غير القاهري بالتأكيد، عدس وأرز وعليه سمنة بلدي، وفي ساعات الرضا يبقى فيه بيض مسلوق وبتنجان مخلل..

اتغديت وأنا مش قلقان، كان اللي شاغل بالي أمي، أنا آخر ولد ليها، وأبويا ميت والنتيجة دي تُخصها، دي بالنسبة لها درع التفوق أو وسام الجمهورية من الطبقة الأولى..

كنت شايف القلق في عينيها، قلت لها:

- قلقانة ليه يا أَمّه؟! إطمني أنا داخل بكرة طب، وبزيادة أربعة في المية..

إن كان على الطب إطمني، لكن ممكن ما أطلعش الأول على المدرسة.

وصدقيني دي مش حاجة تضايقني، أنا هدفي كلية الطب، وأنا بكرة النتيجة هتكون ٣٦٦ من ٤٠٠، والطب هياخد من حوالي ٣٥٠ درجة هكذا حددت النتيجة ليلتها.. قضيت ليلة قلق من الغرائب والعجائب.

لكن لو مفيش عجائب أنا هجيب كده الصبح، الصراحة مشفتش النوم ولا دقيقة، كنت نائمًا بجوار أمي ورأسي عند قدميها وأنا قد تعودت أن أضع كف قدميها على وجهي وأنا نائم، تلك كانت ساعات النوم في الجنة هي أيضًا لم تعرف النوم تلك الليلة.

لما أذن الفجر طبعًا تحولت للشيخ عبد الناصر، قمت توضأت وذهبت إلى الجامع الكبير، صليت ودعيت وعدت إلى البيت.

النتيجة تأتي إلى المدرسة في السابعة صباحًا..

الساعة تدق السابعة والربع.. صوت أخي لطفي في الشارع، أجري إلى باب البيت لا أستطيع أن أُكمل المَسِير..

أسأله وأنا على وشك أن أسقط على الأرض، أنا جبت كام؟

فيرد ٣٦٦.. أضحك أعظم ضحكة مرت على منذ موت أبي، ثم أسأله مين اللي طلع الأول فيرد:

- إنت طلعت الأول..

جريت إلى الشارع واحتضنته حتى خارت قواي، إنني احتضن فيه أخي وأبي وسعادتي وحنانه وإنفاقه وفرحته لأنني ابنه الأكبر..

زغاريد تكسر صمت الانتظار، كل الجيران والجارات كبارًا وصغارًا باسوني وحضنوني، التفتت إلى أُمي وقَبلت يدها واحتضنتها وهي تبكي فرحًا.

كانت تقول لي بعينيها يجبر خاطرك زي ما جبرت بخاطري، فقد كان تفوقي شهادة نجاحها في تربيتي وتعليمي بعد موت أبي..

لبست على غير عادتي جلبابًا أبيض في فضي في رمادي -فاكر اليوم ده قوي- وذهبت إلى المدرسة، كنت أرى في عيونهم السعادة، التقيت يومها بمدرس الفيزياء جلال حمزة إن لم تكن خانتني الذاكرة، كنت أرتدي ثوب الأدب والرضا وكان الفرح في عيون كثيرة عنوان سعادتي.

قريبًا أغادر مسقط رأسي وإلى مالا نهاية، آخر يوم لي في القرية كان يوم البكاء الأعظم، سأترك سبعة عشر عامًا وأمي فلذة كبدي.

تلك ليلة لم أنم ولم تنم فيها، وظلت تبكيني كما بكى يعقوب يوسف..

فاللهم ارحمها.

(٧)

أمي.. وهيبة الغالية

ثلاث وعشرون عامًا مضت على فراقها وما زال اليوم كالبارحة.. إنها أمي..

كم كانت كل شيء وما زالت.. أكثر من ربع قرن مضى على فراقها لكنها لم تفارق ولم تغب عني يومًا في صلاة، لقد كانت أمًا طيبةً بكل ما تحمل الكلمة من معاني، كانت زاهدة في الدنيا منذ أن عرفتها، أقل القليل يرضيها، ذات قلب لم أر مثله أبدًا سهلة الرضى ولو بكلمة.

لقد كنت آخر ما تعلقت به من الدنيا، كنت لم أتزوج ولم أخطب بعد، وكنت آنذاك نائب جراحة بقصر العيني، وكانت مصابة بضيق في صمام القلب الميترالي منذ أن كانت تحمل بي، عاشت حتى رأتني طبيبًا جراحًا كما كانت تدعوا لي.

في السابعة صباحًا كان موعد دخولها لغرفة العمليات لتغيير صمام بالقلب، كانت صابرة محتسبة، أمسكت برقبتي في ذلك الصباح وهي تحت تأثير مهدئ علاجي قالت بصوت ضعيف أهلكته الأيام "وصيتك البنات".

كانت أصعب مسئولية تُلقى على عاتقي تناثرت الدموع من عيني وأنا أقول لها هتقومي بالسلامة إن شاء الله وهتشيلي ولادي، ظلت ممسكة بي وأنا أوشك أن أفقد عقلي.

دخلت معها غرفة العمليات.. كانت حالتي النفسية جد سيئة، كنت أبكي كالأطفال حتى أن أستاذة التخدير أصرت أن أخرج من الحجرة، كان من المستحيل رغم كوني جراحًا أن أحضر شق صدرها، وأن أرى قلبها الذي طالما كان مصدر الحنان لي بين أيدي الأطباء.

خرجت من غرفة العمليات، كنت خادمها الوفي أخدمها برضى كانت تراه في عيني، أعاملها كأنها ابنتي الوليدة طلبت مني أن ألبس قفازًا وأنا أوضئها لكنني رفضت تمامًا، هكذا فعلت لي وأنا طفل رضيع، وأحاول أن أرد جزءًا مما كانت تفعل وأنا شاب يافع.

كانت عيناها تفيض رضًا عني، وكلما مالت عليّ دعت لي دعوات لا أنساها أبدًا..

روح يا ابني ربنا يغنيك وتعطي للناس من غناك.. ربنا يحبب فيك خلقه حتى الحصى في أرضه.. ربنا يسترك في الدنيا والآخرة.. خدها مني يا عبد الناصر يا ابن قلبي..

دعواتك يا أمي هي حسابي في بنك الله الذي لا ينفذ..

عاشت بعدها أسابيع قليلة لكن الموت كان مكتوب القدر ساعتها، ومضت أيام ثم انتكس كل شيء، توقف قلبها سبع مرات في أسابيع موتها الست، والأسوأ أنني كنت حاضرًا معها في كل المرات.

صرخت صرخة مزقت كل قلبي لحظة توقف قلبها وأمسكت بيدي وغابت، انتقلت للرعاية وبعد أسابيع من العذاب فارقت الدنيا.. كانت أول من دفنت ولم أكن أتخيل وقتها أنه وبعد خمسة عشر عامًا سأضع زوجتي بجانبها..

لقد كان يوم الفراق، الساعة تدق التاسعة مساءً، راديو مصر أعلن أن غدًا أول أيام شهر رمضان المبارك، كنت أنا وأخي عبد الرحمن معًا، لقد فارقت الدنيا في هذه اللحظة ولن أراها مرة أخرى..

لما عدت إلى البيت القديم بعد أسابيع من موتها كنت أنتظر أن تفتح لي الباب، وأن تدعوا لي كما كانت تدعوا من قبل، لكن كان البيت خاليًا من الجميع، وكانت ليلة من أقسى ليالي العمر.

تمددت على سريرها الذي طالما نمت فيه بجوارها وقد وضعت رأسي عند قدميها، لأظل كل الليل أُقبلهم كلما أفقت من النوم.

يا أمي أنا مازلت أحبك كما كنت أحبك دومًا، أحيا في ظل دعواتك لي، وما أنا فيه من رزق ورضا وحب للناس هو دعائك لي، والوصية التي أوصيتني بها كنت عليها أمينًا ولها مخلصًا..

اليوم أفتقدك وبشدة.. أصبحت رجلًا كبيرًا وعندي أبناء أحكي لهم عنك وعن حنانك.

اللهم إنها كانت نعم الأم، كانت راضية بقليلها وكثيرها، اللهم اكتب لها الفردوس الأعلى واغفر لها وارحمها، وحط من خطاياها، واكتب لها من كل خير أعمله هي وأبي وزوجتي واجمعنا بهم في مستقر رحمتك.

(٨)

الصداع الذي أحبه

عندي صداع نصفي منذ أربعين سنة حاسس إنه متجوز ومخلف جوه دماغي، وطبعًا ملوش أهل يسألوا عليه، ولو سألوا عليه هقول مش موجود..

هذا الصداع الذي يقتلني حين يأخذ فرصته كاملة أعشقه لأنه يذكرني بأمي الغالية -رحمها الله- نعم لقد ورثته منها ومن حبي لها أحببته هو الآخر..

كانت لما تتألم منه أتألم لها، وكانت تصفه بكلمات خاصة لم أعرفها إلا بعد فراقها، أدركت في كِبر العمر كيف كان الألم وكيف أن إحساسي بها وقتها لم يكن كافيًا.

لذلك عشقت هذا الصداع الذي ورثته منها تلك التي منحتني حياتي كلها، تلك التي أعيش في بركة رضاها، تلك التي دعت من قلبها يومًا..

إلهي يحبب فيك خلقه حتى الحصى في أرضه..

روح يا ابني إلهي يوقف لك ولاد الحلال..

ويغنيك وتعطي للناس من غناك يا ابن قلبي..

اللهم ارحمها رحمة تغنيها عن كل دعوات أهل الأرض واجعلها وأبي في عليين مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا.

(٩)

إلى روح أمي الغالية

في منطقة قصر العيني وعند أحد إشارات المرور يجلس ثلاثة من النساء على محور لله يا محسنين لله..

شابة في عشرينات العمر وزنها يتجاوز الخمسين تُرضع طفلًا لها يُشعرك إن الدنيا إتقل خيرها، وإنه سيكون فرعون الخروج إن كُتب له بقاء..

وامرأة في أواخر الأربعينات وزنها لا يقارب الخمسين، مدموغة بهباب الفُرن غالبًا لزوم الشغل، الانطباع الأول عنها أنها من سلالات الهكسوس الذين اختبأوا في مصر بعد الغرق العظيم..

لكن الغريب في المرأة الثالثة..

ما هذه وهؤلاء إلا كما الذئاب والحملان، امرأة ستينية الهيئة، بيضاء اللون، فيها من براءة مريم ومن جمال أمي وهيبة، توقفت في الإشارة رغبةً مني أن أنظر إليها كثيرًا..

قدمت مرضعة الفرعون ومعها الهكسوسية، وحاجة لله يا بيه وأنا أُركز على المرأة البعيدة التي لم ولن تمد يدها، أشرت إليها فجاءت وقالت:

- حضرتك عايزني أنا؟!

كنت أتمنى أن تعطيني يدها لأُقبلها، لكن هذا سيكون تحرش على قارعة الطريق.

أعطيت الهكسوسيات ما يليق بهن، أما هذه فأعطيتها ما يليق بأمي وقلت لها "إنتي شبه أمي قوي"..

لم تقل أي شيء، لكنني سألتها وأنا أنظرها بقلبي:

- إنتي اسمك إيه يا ست الستات؟!

فقالت وهيبة.. اسم أمي الغالية.

(١٠)

أيام هزمتها الليالي

قالت الخالة العجوز وأنا أزورها في بيتها البسيط على حافة الترعة في أطراف البلد القابع خلف الصواب بألف ألف فرسخ:

- "قلبي على ولدي اتفطر.. وقلب ولدي عليا حجر".

لقد قضت حياتها خلف البقرة التي كانت تملكها، تحلبها وتسقيهم، وها هي الأيام وقد خربتها الليالي، وأصبحت كالحة ما بها من بدر يستنار به في ظلمة الحياة وملفات ما قبل الممات.

أمسكت بيدي وطلبت مني أن آخذها إلى المقابر؛ لأنها لم تعد ترى بعيونها وهكذا غربت شمس نهارها وعلى أعتاب الآخرة وقفنا تستند على ذراعي، سمعتني أقول:

- السلام عليكم دار قوم مؤمنون.. فقالت أشهد..

ثم أكملت قائلًا:

- أنتم السابقون.. فقالت:

- يا ليتهم يكونون، وإنا إن شاء الله بكم للاحقون، وأردفت العجوز عما قريب..

أجلستها عند قبر أمها وأمي وإخوتها فتحدثت وسلمت على كلٍ باسمه..

إزيك يا حاجة شوق!!

إزيك يا وهيبة!!

إزيك يا فتحية!!

لم تنس منهم أحدًا..

ثم سالت دموعها وقالت:

- الحياة من غيركم موت.. والموت معاكم حياة.

الولاد بقوا قاسيين أكتر من قساوة الدنيا، لكن أنا مسمحاهم، خلاص مبقيش من العمر قد ما مضى، ثم مالت على أمي تحدثها في أذنها وقالت:

- عبد الناصر أهه كبر وبقى راجل ملو هدومه.. إلهي وإنت جاهي تجبر بخاطره وتبارك في عياله ويجعل منهم الكترة..

ثم استندت على ذراعي ووقفت تتحسس الصبار على باب المقبرة وقالت:

- هانت وأجيلكم يا غاليين..

ها هنا يأتي الليل.. في وسط النهار..

(II)

أبي الذي أحب

أبويا.. الرمز الذي لم يسقط يومًا.

يبدو أن الكرامة جينات.. يعني أنا ياما شفت أبويا بيتكلم بعزة نفس، وشفت مواقفه التي لم يرض فيها الدنية أبدًا، وسمعته وهو يختار الأصعب ما دامت فيه الكرامة.

وأنا طفل في إعدادي كنت أحفظ هذا النوع من الشعر واكتبه على حوائط بيتنا البسيط في البلد بالطبشور الذي حرقه الزمن..

إذا رأيت نيوب الليث بارزة فلا تظنن أن الليث يبتسم

ومن لا يحب صعود الجبال يعش أبد الدهر بين الحفر

فعيشك تحت ظل العز يوم ولا تحت المذلة ألف عام

ثم مضت الأيام بنا فعلمني أبي أن في كتاب الله خير منها..

{الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعمَ الْوَكِيلُ "173" فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ"174"

* آل عمران

رحمك الله يا والدي رحمةً واسعة فإنك والله علمتني الكرامة وأورثتني إياها..

دُمت حيًا ولو واراك التراب ألف ألف عام..

(١٢)

أنا اللي ضيعت أبويا

دا السر اللي عشت مخبيه، كنت على ما أتذكر في السنة العاشرة من عمري أو ربما أقل قليلًا، سألني أبي في الصباح:

- أقدر أبعتك مشوار بس تبقى واعي ومفيش حاجة تضيع منك؟!

وطبعًا ركبت فرس عنترة ورفعت سيف الثقة، وقلت له بمنتهى الهدوء كما محمد هنيدي في فيلم فول الصين العظيم "اطمن يا معلم جدي".

كانت المهمة الفظيعة أن آخذ بطاقة أبي العائلية أُسلمها في الوحدة المجمعة -تلك التي فيها مدرستي أيضًا- لم أعد متذكرًا السبب جيدًا لكن غالبًا كان في الوحدة الزراعية تسليم لبذور الأرض أو ما شابه ذلك -لكن ليس هذا بيت القصيد.

أخذت من أبي بطاقته، تلك البطاقة العائلية القديمة ذات الصفحات الكثيرة، في أول الطريق فتحتها لأتصفحها، صورة أبي وبياناته بخط أسود كتبه رجل خطاط محترف، في الصفحة التالية اسم أمي زوجته الوحيدة، ثم أسماء إخوتي جميعًا وآخرهم أنا..

وجود اسمى فى البطاقة كان عاجبني، وإحساسي بإني مهم، دي بطاقة وكأن لا أحد في البلد يحمل بطاقة إلا أبي، وكأن كل عيال البلد عديمي الأهلية إلا العبد لله.. طفولة شكلها مشردة!

كان اندماجي بوجود اسمي أكثر بهجة من كل الأسماء السابقة، إلا اسم أبي وأمي، وكان الاندماج مش تمام، إذ أنني وضعت البطاقة في الهواء بدلًا من جيبي وأنا أتراقص في الطريق فرحًا لأنني كنت محل ثقة أبي

الذي أعطاني بطاقته العائلية والتي تثبت وجود هذه العائلة ولا شيء سواها..

وصلت إلى مكان تسليم البطاقة، رفعت حاجبي الأيسر وسألت على الأستاذ أبو المعاطي-على ما أذكر- فقال لي عايز إيه يا شاطر؟!

كنت عايز أنط في كرشه، هو أنا مش باين عليا إني شخص مهم!! دا أنا معايا البطاقة العائلية -حاجة كده شبه أستك منه فيه.

قلت له بمنتهى الثقة وأنا أمد يدي إلى جيبي لأحضرها:

- أنا جايب البطاقة العائلية بتاعت.....

هنا أدركت أنها غير موجودة بجيبي، لقد فقدتها، ضاعت الكلمات وسقط لواء العزة والكبرياء، لقد ضاعت القدس ومن بعدها سيناء وها أنذا أرتكب مأساة كبرى من مآسي التاريخ..

أنا ضيعت عيلة بحالها..

هكذا كنت أتخيل، انهمرت الدموع وبدأ التفكير ماذا سأقول لأبي الذي استأمنني على أعز ما يملك "بطاقته العائلية"؟

الساعات تمر وأنا غير قادر على التفكير.. هل أذهب وأدخل البيت خلسة وأبكي لأمي؟

لكن ماذا ستفعل هذه المسكينة التي ضاعت مع ضياع البطاقة!!

بدأ الجوع يتسلل إلى معدتي والدموع زادت عطشي من كترة البكاء، روحت شربت من الطرمبة اللي على ناصية المدرسة، لكن الجوع لا يسكته الماء.

أين أذهب بعد هذه الجريمة النكراء؟!

لم أكن أعلم أن قبل هذه اللحظة بثلاث ساعات وجد أحد المارة البطاقة وذهب بها إلى البيت وأعطاها لأبي، أطلقت العائلة من هم في سني ومعهم كلاب الصيد للبحث عني، وكنت كلما لمحت منهم أحد اختبأت حتى لا يراني..

أذان العصر يؤذن.. والحكاية من ٨ صباحًا والجوع غلب حتى على فكرة ضياع العيلة على إيدي، قلت أسلم نفسي ويحصل اللي يحصل، طيب ما أنا كمان ضيعت يوم ضاعت البطاقة..

قبل الوصول إلى البيت لقيني أحد أبناء عمومتي وأخبرني إن واحد لقى البطاقة وروحها البيت..

بالبساطة دي!!

فين السسبينس في الموضوع؟

يعني عادي ولا كأن حاجة حصلت، وأنا بألف من الصبح على كعوب رجليا علشان العيلة اللي ضيعتها!

حملت أذيال الخيبة ودخلت البيت، أمي صرخت في وجهي وهي تحتضنني:

- كنت فين دا البلد مقلوبة عليك من الصبح؟!

عضت على كف يدها بما تحمل هذه العضة من كل المعاني، فأحد أهم النصوص المقررة عند الغضب ممن تحبه هي أن تعض يدها وهي تنظر إليه.

- إنتم طابخين إيه؟! كان هذا هو السؤال المهم الآن، وكل ما يشغل بالي.

- طابخين لحمة وقلقاس.. ترد أمي ويزيد جوعي فهذه وجبتي المُفضلة، لكن واضح إنهم إتغدوا.

تبقى مصيبة ليكونوا اعتبروني تبع الأسرى اللي راحوا في النكسة ومفيش حتة لحمة ولا فتة ولا قلقاس، دا أنا أروح فيكم في داهية.. دا أنا أضيعكم كلكم مش البطاقة العائلية بس..

وضعت أمي لي الطعام وطبعًا لأني غبت عن الغدا معاهم فمؤكد إن نصيبي أكبر، قعدت جنبها آكل وهي تفصص اللحم وأنا باين عليا الجوع، وهي باين عليها الوجع إني جعان..

وبينا نحن جلوس نأكل ولا فارق معانا حاجة إذ سمعت طرق نعال أبي، طرفت عيني خوفًا، ارتطمت بنور ونار عينيه، ألقى السلام على الجمع، وأنا مشغول عن القلقاس واللحمة بما سيقول!!

أدرك أبي حجم قلقي ومخاوفي فعمل نفسه مش واخد باله، ومر إلى حجرته، وأمي تتجهز لتتحول إلى حائط صد من كل خوف وأرق وقلق وألم قد يصيبني.

كان ذكيًا بما فيه الكفاية.. وكانت حنونة بما فيه الرضا.

كنت قد توقفت عن الأكل فقالت:

- كمل أكلك إنت مكلتش من الصبح.

كانت أختي إيمان التي تكبرني مباشرةً تمر بجواري، هي لم تتكلم لكنني قررت أنها تريد أن تشاركني الطعام..

طب والله ما أنا واكل..

(١٣)

إنتي طالق يا أَمْه

كان أبي عائدًا من سمنود -هكذا كانت الرواية- بعد يوم طويل شاق من خمسينات القرن المنصرم، وكانت أمي عروسًا جديدة حسب العُرف في بلدنا مقطعتش هدوم الفرح، وهدوم الفرح في بلدنا كانت تحتاج ما يقرب من عشر سنوات حتى تدوب.

يبدو أن أمي في غياب أبي تشاحنت مع حماتها غالية -أي أم أبي، وكالعادة النساء تُخضع الرجال حال كان لهن عنده طلب بما يحب ويهوى..

صنعت أمي له السمك البلطي المقلي الذي يحبه، وربما كشفت عن ساقيها وهي تضع له الطعام، وقد تكون قد أدمعت وتشحتفت وهي تقول له:

- سايبني طول النهار ومسافر سمنود -وتريد أن تقول له تتصرمح لكن كلمة واحدة من هذا الذي أصبح شائعًا الآن كفيلة بيمين طلاق لا يرده ولا حتى أبو راجح مأذون بلدنا.

سألها أبي وقد وضعت له ساقيه في شوية ماية سخنين عليهم ملعقتين ملح وربما دلكت قدميه حتى تضمن ولاءه التام، ثم قالت له:

- أمك عملت وسوت فيا في غيابك..

كان أبي رجلًا لم تلد النساء مثله، فقد فهم مبكرًا أسطوانة الحنان والاهتمام التي سيتبعها أن تشكوا له لينحاز إليها في مواجهة أُمه، تبسم أبي معلنًا الاستسلام وقال لها:

- عملت كل ده!! ميصحش كده، إنتي برضه بنت ناس، هو إنتي جاية من الشارع؟ دا إنتي بنت الحاج محمود أبو يوسف..

تهللت أسارير أمي وهي على وشك أن تقضي على حماتها بالضربة القاضية وعن طريق الكبير قوي.. جوزها.

سألها أبي:

- إنتي عاملة غدا إيه يا وهيبة؟ جففت دموعها وقالت مبتسمة:

- بلطي مقلي.. وجاءت بالطعام ووضعته أمامه فقال لها:

- متزعليش يا وهيبة.. هتغدى وأنزل أطلقها.

تسمرت أمي في مكانها وقالت لأبي:

- سلامتك يا سي محمد.. تطلق مين؟ دي أمك.

فقال لها أبي -يرحمه الله-:

- تبقي فهمتي يا وهيبة.. الطلاق للزوجة مش للأم..

أدركت منذ ذلك اليوم أن أُمه خط أحمر، وإن عقدة النكاح قابلة للفسخ، وعقدة الأمومة غير قابلة ولا حتى للنسخ..

(١٤)

ألا هي فين سبحتك يا معلم بيومي؟

العام ١٩٧٩ ميلادية.. اليوم الخميس آخر الأسبوع الساعة الثانية عشرة والربع ظهرًا، يدق جرس المرواح كما نسميه في بلدنا، الطريق إلى البيت يستهلك قرابة ربع الساعة لكن اليوم ممطر، وأنا سأسير تحت ماء المطر حتى تبتل كل ملابسي وكُتبي داخل الشنطة القماش..

سأغوص في كل بركة صغيرة ألقاها ثم سأقسم لأمي كذبًا إنه غصب عني..

شجرة سقطت بفعل الهواء بها بعض من ثمر التوت الذي لم يأت موعد نضجه بعد، سأتسلقها وهي على الأرض وأدعي أمام نفسي أنني بطل..

في الأيام العادية أنا طالب بتاع مذاكرة وبس.. لكن طلوع شجر وجري ورا أي عربية داخلة البلد خاصة لو إسعاف أو مطافي حلم يطوف بالوجدان غير مسموح به..

لكنها الأمطار التي أحبها.. ولو سألتني أمي عن البلل سأدعي أنني كنت جائعًا وخفت أن أتأخر، وخفت يكون فيه برق ورعد..

وأمي تعرفني من نظرة عين، وتعرف حين أكذب عليها، وتسامحني دون أن تعاقبني فيما لا يترتب عليه خلل..

أصل إلى البيت فأجد التيار الكهربائي مقطوع، واحنا لسه الكهربا داخله بيتنا من شهرين وهي لمبة واحدة في كل أوضة وبس.. لابد من العودة إلى لمبة الجاز، وطبعًا ستقول لي أمي "روح هات جاز من عند أبوك وهبة".

تبًا لكل المشاوير المفيدة.. يا سلام لو تقولي خد الوابور صلحه! وأروح أصلحه عند شحته أو فوزي، اليوم سيضيع في مساعدتهم، وسأعود ولي شنب من الهباب..

ويا سلام لو أعطاني أحدهم منصب مساعد وابوراتي دا يبقى العيد، وطبعًا غطا الكازوزة الفِل وهو يستخدمه في غطا الوابور لكن كل هذا لن يحدث.. فالوابور مُشتعل وعليه حلة فيها لحمة وإلى جانبه حلة أخرى فيها بطاطس دِمعه "بالصلصة".

إنها لحظات العيد الآن.. برودة الجو، وحنان أمي، وملابسي المبتلة وحلم قطعتين بطاطس أدوقهم يصبروا الجوع اللي أنا فيه، ويا سلام لو أمي استجدعت وعطتني حتة لحمة مؤقتًا تحت مسمى "دوق اللحمة كده شوفها إستوت ولا لا"

صوت أبي يكسر حاجز الصمت، وأمي تقول لي:

- إدخل غَيّر هدومك بسرعة أحسن أبوك يشوفك مبلول.

وأجري لأبدل ملابسي وفي فمي قطعة اللحم وفي يدي قطعة بطاطس.

ثم أخرج أمام أبي في وداعة الحملان وبراءة الصديقين وهو يتلقاني بالأحضان ويسألني عن يومي الدراسي، أقفز فوق الكلمات لأحكي له عن العيال الوحشة اللي بتمشي في برك المياة في الشتاء، وهو يسمعني بهدوء ويقول كلمته المشهورة "إنت متربي ومتعملش كده" وعيناه عابرتان إلى حذائي الغارق حتى عنقه في وحل الجريمة، ثم ينادي على أمي:

- جهزي الغدا يا أم محمد على ما أصلي الظهر.

وعيناه تقول لي بهدوء:

- ألا هي فين سبحتك يا معلم بيومي!

(١٥)

جدتي شوق

ترسلني أمي إلى جدتي شوق على بعد عدة أمتار من بيتنا، تريد أن تتخلص من زني، وتريد – في نفس الوقت- أن تطمئن على أمها التي لم ترها منذ ساعتين على الأكثر..

ترسلني إلى جدتي كي آخذ منها حاجة حلوة -برتقانة مثلًا، فأدخل وجدتي تُصلي، لم يكن هناك أبواب موصدة فالأمان يُغطي كل مكان..

أصرخ لها متعجلًا تلك البرتقانة الموعودة التي من المؤكد أنها ستكون أطعم من الموجود عندنا في البيت؛ لأن الشيخ البعيد سِره باتع.

جدتي تصلي صلوات لا تنتهي، كلما ذهبت إليها رأيتها تصلي، أنادي من الخارج بعلو صوتي، واقترب منها وهي جالسة تصلي أحتضنها فتحتضنني.. وأُقبل خدها وهي تتمتم "اهدنا الصراط المستقيم" أقول لها في أذنها حتى لا يسمعنا أحد..

- يا نينه أمي بتقولك هاتيلي برتقانة.. ترد وهي في صلاتها:

- عندك في الدرج اللي ع الشمال.

وتكمل صلاتها {غير المغضوب عليهم ولا الضالين}، أعود وأهزها في صلاتها وأقول:

- مفيش برتقان فيه موز بس.. ترد وهي تمتم {والضحى والليل إذا سجى} طب خدلك صباعين يا نور عيني..

وتكمل.. {ما ودعك ربك وما قلى◇ وللأخرة خير لك من الأولى}

آخذ الموز من الدرج وأجلس على ركبتيها وهي تصلي، تأخذه من يدي وتقشره وتضعه في فمي وهي تردد:

{ولسوف يعطيك ربك فترضى}

أحتضنها وأهز رأسها وأقول لها أنا مروح لأمي، فترد بمنتهى الهدوء.. سلم لي عليها..

وتكمل صلاتها..

أعود فرحًا لأمي بعطايا جدتي وحنانها، وتعود جدتي إلى صلاتها ولم أكن ساعتها أعلم..

الثلاثة الكبار..

إخوتي..

(١٦)

أخي محمد

الرجل الذي أُحبه

أشهد أنك كنت من الرجال المخلصين.. رأيتك في منامي وكان يتبقى شهر على اكتمال غيابك لعام كامل، لكن رؤيا هذ اليوم أسعدتني جدًا..

كنت وكأنني في دولة اليابان في رحلة خاصة ببعض ما يتعلق بالطب، وبينما أنا أقف إذ رأيت رجلًا يشبه أخي محمد، جريت من باب بالمكان وناديت له كما تعودت..

دكتور محمد!

كان يلبس نظارة شمس وعلى رأسه كاب، خلع النظارة وإذا به هو أخي محمد بالفعل، احتضنته بشدة وفرح وسألته في حرج:

- هو إنت مش .....(أقصد أنه مات)

زاد صوت ضحكته وقال:

- لا أنا ما موتش، ابقى طمن خالد إبني وقول له أبوك ما ماتش..

سألته:

- وهو هيصدقني إزاي؟ ممكن أتصور أنا وإنت سيلفي؟ ضحك وقال.. يلا..

اتصورت معاه وفتحت الصورة للتأكد، فإذا بي وحدي في الصورة، والكاميرا لم تصوره، كان حولنا جمع من الناس وكانت سعادته أعظم ما رأيت طيلة عمري.

كان شابًا في ثلاثينيات العمر مِلت عليه وأنا ابتسم وسألته:

- هو مفيش عندكم فون محمول تعطيني رقمه علشان أبقى أكلمك؟

ضحك مرة أخرى وقال بطريقة مبهجة:

- لا لسه مدخلهوش عندنا..

كنت فرحًا به إلى ما لا نهاية، وكان سعيدًا فوق ما يتخيله البشر.. ثم استيقظت..

أشهد أنك كنت من خيرة الرجال، وكنت أصدق من عرفت، كنت في الحق صلبًا لا تلين..

أسأل الله أن تكون هذه هي الجنة، وأن تكون عند الله من الشهداء، وأن يُكتب على صحيفتك..

{بل أحياء عند ربهم يرزقون}

إنه أخي محمد..

(١٧)

أبي التوأم

عبد الرحمن

كل سنة وأنت في الجنة..

إنه لكبيرهم الذي علمهم الطب..

تبدأ القصة عند سؤالي وأنا طفل عايز تبقى إيه ؟

والإجابة النموذجية -ساعتها طبعا- عايز أبقى دكتور.. لكن أنا فاكر كلمة له وأنا في ثانوي وأهل البلد بتيجي تكشف عندنا في البيت لما ييجي أجازة وهو يقول لي:

- يلا خُش طب علشان تساعدني.

لازلت أذكر ابتسامتي وقتها، كنت أشعر أنه وضعني في مقام مساعده، فكنت أناوله السماعة والروشتة وأنا حاسس جوايا بفخر إني هابقى دراعه اليمين.

مرت الأيام وظهرت النتيجة ودخلت كلية الطب، كانت نظراته تكفي لإيصال رسائل كثيرة لكنه كان مُصر دائمًا إننا توأم بيننا ١٦ عام فارق من السن، كنا لا نجد جهدًا إذا خلونا أن نفهم بعضنا بعضًا دون عناء رغم فارق السن والمقام.

كنت دائمًا أراه الأخ الأكبر والأب والمعلم والذي له في النفس مهابة لم يكسرها شيء.

حصلت على درجة أستاذ بكلية الطب وكنت أكلمه فإذا به يسألني:

- إنت بتشرب سجاير؟!

وأنا لم أعرف لها طعمًا ما حييت، لكن المفاجأة أنني أقسمت له وكأنني طفل أني لم أطعمها أبدًا، شعرت أن أبي من يسألني، قال لي:

- إنت أستاذ كبير.. أنا بسألك لأني لاحظت لون أسنانك متغير، قلت له من شرب الشاي -وأنا أبرئ نفسي.

كان له لحظات يحلو فيها حتى يكون أحلى من العسل، كنت أعرف في عينيه لحظات الرضا والسكينة، كان حبلًا من إدراك بيننا يجعل مني كما كان يصفني "ابنه الأكبر" ويجعل منه مَثلي الأعلى في العلم والحكمة.

كان جادًا، حليمًا، حكيمًا..

فاللهم رحمة من عندك تغنيه عن كل دعاء أهل الأرض.

(١٨)

أخي لطفي الذي هو أبي

كل سنة وإنت أخويا وأبويا.. كل سنة وإنت طيب وبكل خير..

لما مات أبويا سنة ١٩٨١ كان أخي لطفي هو الأب لي، الصراحة لم أشعر بموت أبي مثل كل الذين مات آباؤهم، فقد كنت صغير السن، لكن الأهم كان وجود لطفي.

لطفي هو الأخ المختلف، الأقرب إلى الواقع وإلى الممكن، وبينما كان محمد وعبد الرحمن -رحمهما الله- يمثلان خط العقل في مواجهة الحياة، كان لطفي هو القلب الحنون.

لطفي هو الأقرب سنًا لي منهم، وهو الذي عاش معي تجربتي بداية من الصغر، أتذكر وهو يذهب بي إلى المدرسة في عزبة النيل وهو آنذاك في الثانوية العامة، ويُحفظني سني وتاريخ ميلادي ويعطيني إكسير القوة أن أحدًا لا يستطيع أن يقترب مني لأني أخو لطفي.

ثم هو يعطيني قرش صاغ كامل من مصروفه فوق القرش اللي أنا واخده الصبح من أبويا.

أول مسدس لعبة كان صاحبه لطفي، أول عصير جوافة ساقع شربته -وهذا له قصة خاصة جدًا- كان مع لطفي، أول محاولة سواقة موتوسيكل كانت مع لطفي -وإن كان رفض ذلك تمامًا..

لطفي يعني السند النفسي والمعنوي والمادي طول العمر، يعني الأخ اللي تطمئن في الحياة لأنه موجود، كان ومازال هكذا..

كل مشاكل المدرسة هيحلها لطفي بزيارة وهو له طريقة خاصة جدًا لا تعرف كيف يمكن أن تنتهي، لكنه متأكد تمامًا أن الجولة له.

لطفي يعني الخروجة الآمنة السعيدة، يعني نظرة أبويا التي تحل بها كل الخلافات التي ارتكبتها، يعني اللوم من نظرة تجعلني في نصف هدومي.

لطفى يعني الأب الحقيقي بعد موت الأب، صورة حقيقية للأخ الطيب اللي رباك وحبك وعمل منك إبنه الكبير، هو الأخ الذي أدين له بكل تربية تربيتها.. يعني الجانب الحنين وسط الدنيا في كل مراحلها.. يعني الأمان والاطمئنان والراحة.

لطفي الصاحب اللي الزمن حنّ بيه عليا بعد موت أبويا، أنا لا أذكر في الأربعين سنة اللي فاتوا إني قلت له مرة واحدة "لا"، لطفي مينفعش أقول له لا..

لطفي الصراحة حالة تانية، أحن أخ عاش دور الأب في التاريخ، أنا شفته وهو بيربيني وشفته وهو بيربي أولاده.. لطفي كان أحن عليا من حنانه على أولاده، هذا قولًا واحدًا لا يستطيع أن يغيره أحد..

لطفي ربنا خلقه كده أخ سند وطيب وحنين.

لطفي يعني بلدنا.. لأن بلدنا هي تاريخي.. وتاريخي هو أخويا لطفي..

لطفي يعني الجانب المشرق المطمئن في حياة أحدهم..

أهو أحدهم ده يبقى أنا..

كل سنة وأنت السند والقلب الطيب والأخ الحنين والبيت المفتوح والاطمئنان..

القرآن في بلدنا

(١٩)

القرآن في بلدنا

كانت البلدة شهيرة بمشايخها الخمسة المسؤولين عن تحفيظ القرآن، ووالله ما تبعهم منا طفل إلا ونال حظًا وافرًا من العلم.. وكنت من نصيب أطيبهم الشيخ حامد أبو إسماعين -هكذا يُنادى في بلدنا- أتممت ربع القرآن قبل أن ألتحق بالمدرسة، كنت لا أعرف شيء تقريبًا إلا حفظ القرآن وكان يوم الخميس هو يوم دفع القروش الخمسة أو العشرة للعريف أو شيخنا كما نسميه.

وكان لي عند شيخي مقام عظيم لقد كان يُجلسني بجواره في أوقات كثيرة، بل ويسلمني المقرعة -وهي قطعة من جريد النخل مشقوقة تصنع صوتًا عاليًا أكثر مما تؤلم حقًا.

كان يسلمني إياها لأمسكها لحظة انشغاله، وهذا شرف لو تعلمون عظيم -حاجة كدة لو عملتوها تبقوا عمد- وكنت أشرب من القُلة، بينما يشرب الباقون من الزير، وقُلة مولانا غير أي قُلة دا شرف لا يناله في حضرة العريف إلا القِلة القليلة، وأنا كنت إلى حد ما مُرفه - ليست رفاهية هذا الزمان بالتأكيد لكنها رفاهية أيامنا وقريتنا.

وبينما أنا كذلك أوحى إلى أهل البيت أنني شيخهم القادم، وأنني سوف أعدل الدفة المايلة، حتى كان يوم لست أنساه عندما كنت

عائدًا من الكُتاب أحمل في يدي ربع ياسين، وكان أخي الأكبر محمد -رحمه الله- يجلس أمام البيت وبجواره كبير أساتذة اللغة العربية صاحب العلم الغزير وصاحب البكالوريا، الأزهري العظيم الأستاذ رجب الخميس..

ناداني أخي وهو حينها طالب في كلية الاقتصاد والعلوم السياسية وصاحب باع في العلم والثقافة وهو كما وصفته دائمًا "إنه لكبيرنا الذي علمنا حب العلم".

ناداني وأنا كُلي قلق وخوف وبعض من رجاء، سلمت عليه وعلى أستاذنا العظيم، جاءت عين الأستاذ على ربع ياسين، فقال:

- فتح الله عليك يا شيخ عبد الناصر.

إنه لقب من علَّامة لا يُشق له غبار، أنا مش محتاج أكمل تعليم بعد هذا الوصف، لكن القادم ليس كما تشتهي السفن، لحد كده وحلو قوي مفروض أمشي وربما أفرض عليهم في البيت أن أُنادى بالشيخ عبد الناصر.

لكن أخي قال للأستاذ:

- ما تختبره يا أستاذ رجب في الحفظ -وهو ينتظر مني أن أرفع رأس العائلة ومؤكد أن هناك مكافأة، بس ميصحش كده أنا كده إتاخدت على حين غرة..

كان الأستاذ رجب يجلس بالكرسي في سائل مخي المضطرب، بل ويقلب في الآيات اللاتي من المؤكد أنني سأخطئ بها، تلعثمت واضطربت وكان الأستاذ رجب ينزل معي من السابع إلى السادس إلى

الرابع، من المجادلة للممتحنة للنبأ حتى وصلنا إلى صورة الإخلاص وأنا في حالة ربنا ما يكتبها عليكم..

نظرات أخي توحي بغضب الحرب العالمية أخف وطأةً منه، ثم زاد الطين بِلة أن قال الأستاذ رجب اسمي مجردًا، لقد سحب المشيخة مني أيضًا..

دخلت إلى أمي بخفي حنين لا فيها مكافأة ولا حتى لقب الشيخ، وكان كل الذي أتخيله هو قوله..

ألا هي فين سبحتك يا شيخ عبد الناصر..

(٢٠)

أنا والقرآن

مما لا شك فيه عندي أن الذي صنعني هو القرآن، والذي صنع أي نجاح وأي نبوغ رآه البعض بي كان الحفظ المُبكر للقرآن.

وفي ليلة ليلاء أسمع اسمي يُنادى عليه من جامع وسط البلد في صلاة العشاء، وجامع بلدنا لا يذكر الأسماء إلا في حالتين فقط أن يسبق النداء قوله تعالى {كل من عليها فان} وهذه حالة الوفاة..

أو أن يقول المنادي يا أهالي البلد اللي عندها بنت ولا ولد تخبيهم أحسن النداهة في البلد، ونادرًا ما يُنادى على طفل تائه.. والحالات كلها لا تنطبق عليَّ واحدة منها.

خير اللهم اجعله خير.. كل من سمع النداء جاء إلى البيت للاطمئنان.. هو عبد الناصر بخير؟!

توجهت أنا وأبي وبعض من قبيلة النجار وهم في حالة تأهب -ربما تنشب حرب وجب فيها حق الدفاع عن النفس، دخلت أنا وأبي للمسجد، صلى ركعتي تحية المسجد وأنا بالمثل ممسك به، أحذو حذوه.

ثم جلسنا جاء الشيخ حامد أبو إسماعين مؤذن المسجد وشيخي الذي يعلمني القرآن، ونظر إليّ بسعادة وقال لأبي:

- مبارك يا حاج محمد عقبال الكلية.

واضح أن هناك خبر سعيد ممكن يكونوا هيجوزوني حد من البلد وده فرح مفاجيء ولا إيه الحكاية؟

وبعدين فيه كام بنت من اللي كانوا بيحفظوا القرآن معايا موجودات، واضح إنه عيد، مؤكد سيدنا هيقولي اختار عروسة منهن، وأنا الصراحة عارف هختار مين!

وقفت في الجامع وأنا ألبس ثياب عنترة العبسي، بحكمة أبي الطيب المتنبي، وبعشق عمنا أبو فراس الحمداني.

صلينا العشاء في جماعة وجلست بجوار أبي ثم نادى منادٍ من قِبَل المنبر.. عبد الناصر محمد النجار.. توجهت إليه والناس حلق حلق، فسلم عليّ شيخ غريب ظننت في نفسي أنه المأذون، بس ليه يجيبوا مأذون غريب عن البلد؟ طول عمر البلد مأذونها الشيخ أبو راجح، لكن لا ضير المهم الجوازة تتم..

سلمت على الشيخ العظيم فسلم عليّ سلام الرجال، ثم قال لي مبروك يا شيخ عبد الناصر، وناولني مظروف أنا مش عارف المظروف فيه إيه؟ هي النقطة بقت في الجامع ولا إيه؟ ولا يكون دي قسيمة الجواز؟

بس الراجل مقالش على كتاب الله وسُنة رسوله..

وبعدين هما هيجوزوني على مزاجهم دا أنا أروح فيهم في توكر!! ومكانش فيه زغاريط ولا شربات، ونادى من بعدي أسماء أُخر..

وصلت إلى أبي ففتح المظروف وكان فيه إتنين جنيه ونص، أعطى أبي لشيخي نصف جنية من جيبه هو، وناولني المظروف.

سألته إيه الحكاية فقال لي:

- إنت نجحت في المسابقة بتاعة القرآن اللي كنت روحت فيها من شهر.

كنت أريد منه أن يتأكد من إنه مفيش جوازة ولا إيه؟

لكنني كنت أرتدي نفسيًا الجبة والقفطان وعامل نفسي شيخ مشايخ الطرق والكباري.

عُدت إلى البيت وسط أهلي وهم فرحين بي جدًا، كنت أرى الفرحة في عين عمي طه بوضوح، وشالني تقريبًا معظم الطريق، وكم كنت أتمنى أن يكون هذا يوم الفرح.

نسيت أقول لكم كان عندنا جد من أجدادي تخصص خطف عرايس يوم الفرح، لا مش زي ما أنتم فاكرين.. كان يخطف العروسة يشيلها على كتفه ويجري بيها لغاية دار العريس.. ودي حكاية لازم تتحكي..

الخلاصة روحت البيت لقيت أمي فرحانة وطايرة من الفرحة وستات كتير جت تطمن أنا ليه نادوا اسمي في الجامع الكبير، وأخذتني أمي على جنب وهمست في أذني قائلة:

- هات الفلوس دي أحوشهالك..

عليا أنا برضه يا أمَّا!!

(٢١)

بداية الرحلة مع القرآن

أفضل شيء يمكن أن تبدأ به ترتيب عقل طفلك هو حفظ القرآن..

هذه ليست دعاية إيمانية لكنها قناعة شخصية، أتصور بعد مرور هذا العمر أن الذي فرق معي من الناحية العقلية كان حفظ القرآن مبكرًا، بل أعتقد وأؤمن وأكاد أجزم أن العقل البشري الذي هو هبة الله للبشر يتم تنظيم عمله وفق إرادة خالقه بحفظ كلمات الله الكريم كبداية لترتيب خطوط هذا العقل ثم يكون ما بعده..

البداية أصغر مما أتذكر غالبًا ربما كانت في العام الثالث من عمري، كنت طفلًا صغير البنية متوقد الذهن إلى حد ما، متطلع لما حولي، عديم الهوايات لأسباب بعضها عن رغبة مني وبعضها قهرًا من باب التربية، حاولت كثيرًا كسر طوق التربية لكنني فشلت وبشدة؛ إما لأنني مبتدئ في الإجرام أو لأن أعين المراقبة العائلية أعنف من أن تُكسر..

البداية عند الشيخ حامد أبو إسماعين -أسأل الله له الجنة لطيبته وبساطته وطول باله وحلمه، كنت مميزًا عنده حق التميز، فأنا أجلس بجواره معظم الوقت، كان يجدل الخوص في هذا الزمن، وكانت متعتى بالفُرجه على جدل الخوص متعة من نوع خاص..

كان يسلمني المقرعة بعد وقت بسيط من انضمامي إلى الفريق، والمقرعة لمن لا يعرف عصا مشقوقة تصنع صوت أعلى بكثير مما تحدث ألمًا، إنها هيبة السلطان وصولجانه.

الفريق جالس على حصيرة على الأرض وأنا بجوار شيخي أقرأ بصوت واضح {ويل لكل همزة لمزة} والكورال من خلفي يردد، وشيخي يقول فتح الله عليك يا مولانا، نعم كان حنونًا فوق الوصف، وكان قد أعطاني ألقاب مولانا وسيدنا والشيخ عبد الناصر، كلها كلمات تجعلني أُسرع في حفظ القرآن.

بعد عام أو يزيد من الحفظ أصل إلى الجزء الخامس، يأتي الشيخ حامد إلى أبي يخبره أن عندنا مسابقة حفظ القرآن في دمياط المدينة، أذهب إلى الحلاق لحلق شعري، وأمي تحميني بالليل وأنام مستعدًا للسفر دون أهلي إلى مدينة دمياط حيث كل شيء عظيم.

تستيقظ أمي مبكرًا وتغسل وجهي، ألبس بيجامة كستور مقلمة بخطوط بنية ولها ثلاث جيوب، أمي تفطرني الصبح وتُخرج من دولاب الأسرار شوية كرملة وتحطهم في جيبي علشان يبقى معايا حاجة مسكرة في ديار الغربة، تضع في جيبي خمسة صاغ فكة علشان لو حبيت أشتري حاجة، وألبس شبشب جديد بلاستيك لونه أزرق؛ علشان عيب الولاد تلبس اللون الأحمر.

إنني الآن مسافرًا إلى الفضاء لا فرق بيني وبين "أرمسترونج" إلا النذر اليسير، نركب السيارة أنا ومجموعة من الأطفال لم أعد أذكر منهم إلا الأخ أحمد سراج الدين الذي يكبرني بسنوات بسيطة وله في هذه

الرحلة قصة خاصة.. جلست على ساق شيخي في الكرسي الأمامي من السيارة حتى يمكنني أن أنظر من الشباك، مستمتعًا بسرعة السيارة والهواء المختلط مع كل أفكاري وارتطام الهواء بيدي حين أخرجها، وصلنا دمياط مسجد البحر الكبير بكل جماله ورونقه.

مطلوب صور الولاد دول يا شيخ حامد.. يقولها أحدهم لشيخي ليأخذنا جميعًا إلى رجل يجلس في الشارع بالقرب من المسجد، أمامه كاميرا عليها ستارة سوداء يدخل رأسه فيها، وأمامها كرسي لنجلس عليه، وبجواره جردلًا اعتقدته ماءً لأدرك فيما بعد أنه سائل التحميض، بعد قليل ناخذ الصور ثم ندخل المسجد..

المسجد شاهق حقًا.. يسألني أحمد سراج الدين بتعرف تتشعبط على العواميد؟ أصل احنا هنطلع نمتحن فوق ولازم تكون بتعرف تطلع على العمود!! كنت قلقًا ألا أستطيع تسلق العمود، ولم ادرك في البداية أنها كانت مزحة، انتهينا وعدنا سالمين غانمين..

بعد أيام وقبل صلاة العشاء يُنادي الشيخ حامد على اسمي في مئذنة الجامع الكبير مع أسماء أخرى، يأتي الجيران ليخبروا أمي وفي عجالة ألبس الحتة الجديدة وطبعًا الشبشب الأزرق اللي في الدولاب، وأستعجل أبي في الذهاب إلى الجامع وأنظر إلى أبي نظرة الفاتحين، وينظر إليّ نظرة الواثق في ولده، كنت وقتها في الخامسة من عمري تقريبًا.

تسلمنا مكافأة حفظ خمسة أجزاء من القرآن، كانت المكافأة اتنين جنيه ونص، وأنا عائد في يد والدي كنت اطمئن كل شوية على ظرف

الفلوس، أخرجه أحيانًا أنظر ما أظنه ملكية البدوي أبو محمود أغنى أغنياء تاريخ القرية وخيرة أهلها..

أبي زاد طولًا في هذه الليلة رغم أني لست أول أمجاده مطلقًا، فكل إخوتي سبقوا في النبوغ، لكنني كنت أولهم في القرآن، أبي يحفظ القرآن كاملًا لكنه لم يأخذ اتنين جنيه ونص زيي، تقريبًا أخبرت كل من لقينا في الطريق ما بين جامع البلد الكبير وبيتنا أنني تم تكريمي في مسابقة الحفظ، وطبعًا طلعت الظرف اللي فيه ممتلكات البنك الأهلي ودخلت إلى أمي أحمل أول مكافأة مادية من الدولة، لم يكن هناك فارق كبير بين فتح القسطنطينية وبين فتحي، كنت ناقص أوطي وأنا داخل البيت من هول شعوري بالطول، وطبعًا بعد ما أمي شافت الظرف اللي فيه الفلوس قالت لي:

- هات أحوشهملك مع العيديات بتاعتك..

نمت في هذا اليوم في أحضان أمي وأنا أشعر أنني خير أولادها وأحبهم إلى قلبها، في الصباح أمي أخرجت من خزائنها علب شيكولاتة ووزعت على الجيران وكأنه عيد نجاحي في الثانوية العامة ودخولي إلى الطب..

من هنا ورايح أنا عايز معاملة جديدة، بلاش حكاية روح هات الفول من عند عمك شطا.. ميصحش كده!

دا أنا لسه شيخ الأزهر مكرمني!!

(٢٢)

إقرأ يا شيخ عبد الناصر

عائد من عند شيخي الذي أحبه لحنانه وبعض تساهله معي، الساعة ما قبل أذان العصر تقريبًا كنت أشتري شيئًا ما لأمي خاص بالبيت، أسير واثق الخطوة ملكًا لأن معي شوية لب من عند أبويا وهبة، يبدو أنها كانت أعظم دعاية لأي دكان أن تُعطي هذا الطفل العامل لأهله ديليفري ما يحببه في الذهاب لآخر البلد..

وفجأة.. وجدت أخي الأكبر يجلس أمام البيت ومعه عالم من علماء الأزهر ألا وهو الأستاذ رجب الخميسي.

لا بقت المشية واثقة ولا الماشي ملكًا، وحتى شوية اللب رميتهم من القلق.. مكان ظهوري أمام البيت لا يمكن الاختباء بعده ولا العودة من طريق خلفي للبيت "وأهو جالك الموت يا سارق السمك"..

قلت في نفسي لعلهما مشغولان بما في جرائد اليوم، أو ربما الأستاذ رجب يحكي لأخي عن خطبة الجمعة القادمة فقد كان خطيبًا مفوهًا ولغويًا قلَّ أن يجود الزمان بمثله..

وعليه اتخذت قراري على الفور.. أن أسير على أطراف أصابعي في الشارع، وألا أُلقي عليهما السلام حتى لا ينتبها، والمسافة لا تزيد عن عشرة أمتار، يعني خطف وابقى جوه البيت..

عبرت الأمتار التسع الأولى وأنا أقرأ {وجعلنا من بين أيديهم سدًا ومن خلفهم سدًا}، وبينما أنا على حافة الاختفاء ناداني أخي الأكبر -رحمه الله-تعالى يا عبد الناصر..

وأخي الأكبر كان علامة حقًا، لا لأنه أخي لكن هذه هي الحقيقة، كان فلتة علمية قولًا واحدًا، وأنا عايز الليلة تمشي أحمدي وبلاها فلتات لكنه لن يقبل هذا، لا في العلم ولا في التربية.

بحثت داخل عقلي عن كل مهرب ممكن لكن هيبة وسلطان أخي الأكبر أكبر من السلطان نفسه.. استعوضت ربنا في شوية اللِب، وسلمت نفسي للمجهول، وألقيت عليهم السلام وقلت لا يُنجي من هذه المواقف إلا المشيخة..

قال أخي:

- سلم على الأستاذ رجب..

سلمت عليه بيدي البيضاء من انخفاض ضغطي، المبتلة بالعرق من آثار شوية اللب اللي ضاعوا، وأنا أنظر في الأرض مدعيًا التبتُل المنقوع في مية الخوف..

كان أول ما يقلق قول أخي مبهورًا بي وأنا لم أدخل المدرسة تقريبًا:

- عبد الناصر خلص ربع ياسين يا أستاذنا (يعني ل اللي مش عارف ختم ربع القرآن) قال الأستاذ رجب:

- ما شاء الله.. ما شاء الله.. فتح الله عليك يا شيخ عبد الناصر.

وجود أخي الأكبر يقلقني والسؤال القادم يكون الكارثة حين سيقول إمتحنه في القرآن يا أستاذ رجب..

وجود أخي مع حجم الخوف أكبر من أي إمتحان، وقفت أنظر إليهما وأقول في نفسي "طب هات أمي وامتحني" لكن هذه أحلام لن تحدث.. إنه الإمتحان إذن..

وها أنا قد أخذت لقب شيخ وقد أستخدمه في البيت وأفرض بها إتاوة -طبعًا على أمي فقط- وأقول الأستاذ رجب شكرني وقال إني الشيخ عبد الناصر..

كان عقلي قلقًا من الفشل أكثر منه ساعيًا إلى النجاح، كنت خائفًا جدًا بحق..

بدأ الأستاذ عند ياسين {وضرب لنا مثلًا ونسي خلقه} ثم انتقل إلى الزُمر {وقال مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه}، ثم إلى الواقعة {وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال} وأنا أتعثر معه من الخوف، وحاسس إنه بيختار الآيات اللي تايهة عن دماغي.. والله ميصحش كده!!

وعبرنا الآيات حتى وصلنا إلى {الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين} وأنا أشعر أن الأستاذ رجب ماشي في تلافيف عقلي يتتبع سلسلة آيات القرآن كل حتة مقطوعة يسألني فيها، وطبعًا كان التقييم سيئًا للغاية.

سحب مني مرتبة المشيخة في الحال، وقال عبد الناصر -كده حاف من غير شيخ- محتاج يراجع القرآن كويس والشيخ حامد محتاج يشد عليه شوية..

بعد هذا التوصيف عبرت من عين أخي نظرة ما زالت توجعني حتى اليوم ملخصها "خيبت أملنا فيك وأنا اللي كنت ناوي أفتخر بيك قدام العلامة الشيخ رجب وغالبًا كنت هتاخد شلن لو نجحت في الاختبار"

كله راح.. كله اتبخر.. وغالبًا فيه عقاب بعد أن يذهب الأستاذ رجب.. دخلت إلى البيت وطبعًا أمي هي التي ستتلقاني، اتهمت الموقف كله وطبعًا اتهمت الأستاذ بالانتماء إلى منظمات أجنبية هدفها زعزعة الاستقرار في البيت..

وبعد عشر سنوات كان الأستاذ رجب أستاذي في الصف الأول الثانوي، لم يُدرس لي سوى شهر واحد فقط، لكنه وصفني يومها بالنسر.. ولهذا حديث آخر..

من علمني حرفًا

(٢٣)

مولانا الأدهم

الأستاذ فتحي الأدهم معلمي في اللغة الانجليزية.. لست أدري كيف أصفه؟ ولا من أين أبدأ؟

حكايتي مع اللغة الانجليزية قديمة شويتين، فأنا الأخير في ذرية أبي، والكبار -رحم الله من مات وحفظ من بقى- كانوا يعلمونني كلمات في الإنجليزي حتى قبل دخول المدرسة، وحفظي للقرآن جعل حفظ مائة كلمة أمر يسير..

دخلت المدرسة الإبتدائية صغير السن لذلك لم تقبلني مدرسة شرباص في أول الدراسة فذهبت قرابة شهرين إلى مدرسة عزبة النيل العليا..

كان معي في المدرسة أخي وحبيبي دكتور جمال سليمان، كان في الصف السادس وأنا في الصف الأول نشأت بيننا محبة لسببين أولهما أنه كان نابغة دفعته، وكان يسألني في كلمات اللغة فأُجيبه، وثانيها وأظنه الأخطر أنه كان يعطيني حلوى من عند شوكت أبو خطاب وخاصة الحلاوة النيفة شبيهة الشعرية ذات اللون الأصفر على ما أذكر..

مرت الأعوام ودخلت الإعدادي حتى وصلت إلى السنة الثالثة، وفجأة يدخل علينا أستاذ جديد جاي من مناجم الذهب عيار ٢١ الغالي المرن..

أستاذ يفتح النفس على الحياة.. وسط بين الرجال في طوله، ملوش أي كرش نهائي، جعد الشعر، أسود العينين حواجبه سميكة، نور عينيه لا ينطفئ وابتسامته نور مشرق في دهاليز العلم الصعبة، وفوق هذا كله خفيف الظل تنساب من بين فكيه كل الكلمات الطيبة.

كانت حصة الإنجليزي ما قبل الأدهم حصة بائسة تُشعرك بغرابة اللغة، وركاكة الفكرة، بل وسخافة الحفظ، أما وقد هَلَّ سيدي الأدهم فقد كانت أعظم الحصص وأجلها شأنًا.

نشأ بيننا من الحب كما بيني وبين أخي لطفي، ذلك الذي صار أبي بعد موت أبي، وكان لطفي هو الأب الحنون بلا وصف ولا حدود.. كان سيدي الأدهم في مصاف أخي لطفي وهذه منزلة لم يصلها إلا القليلين جدًا.

لست أنساه وهو يحول الكلمات إلى نغمات، ويستخدم العصا على السبورة لتصنع لحنًا تتراقص قلوبنا عليه وهو يشرح.

لست أنساه وهو يمثل لنا قصة الراعي الذي كذب كثيرًا أنه رأى الذئب ولما ظهر الذئب حقًا وصرخ بالناس، لم يجبه أحد..

لست أنساه وهو يصرخ وكأنه على مسرح عظيم..

. Please take me across the lake.

كان السبب أن تتغير نظرتي إلى لغة غير العربية، كم كان يعشقني وكنت أحبه من كل قلبي، كم طلب مني أن أقوم بتمثيل دور محمد صبحي في مسلسل علي بيه مظهر وكنت في فريق التمثيل آنذاك، وكلما ذهبت إليه في أي فصل علشان أجيب البشاورة لا بد لي أن أودي مشهدًا تمثيليًا.

لم أكن أبرع طلابه في الانجليزية فقد كان زميلي عبد الحميد حواس لا يجاريه أحد فيها، لكن الأستاذ فتحي كان بالنسبة لي أول مثل أعلى من خارج المنظومة العائلية..

أعتقد أنه الذي ورثني الابتسامة، وورثني أن أُحب الناس جميعًا، أعتقد وبلا أدنى شك أن الحب مُعدي ولو كنت الآن معه لجثوت على ركبتي وجلست تحت رجليه وقبلت رأسه ويديه..

دمت سيدي الأدهم أستاذي بحق، ومثلي الأعلى بحق.

دُمت أبًا ورثت من علمه وأخلاقه الحب والخير والجمال..

دُمت معلمي..

(٢٤)

إسماعيل الطحان

زميلي، شيخي، قدوتي وصاحبي

دائمًا تُلقي لك الأقدار أشخاصًا هم أجمل من على الطريق، بل هم رونق الطريق وجماله، فالصحبة هي أجمل ما في الرحلة..

العام التاسع والسبعون من القرن المنصرم..

المكان عند دكان نُصحي الذي سأُصاحب ابنه محمود بعد قليل، وسوف آكل في بيتهم الزيتون والليمون المخلل كأفضل ما ذُقت في عمري.

هنا يقف زميل لي أظنه يلبس ملابسنا الرسمية البيجامة الكستور المقلمة، أو ربما كان الانفتاح قد ضرب ثوابت الكستور والدبلان.

إسماعيل الطحان.. طفل له عِزة نفس لا يكسرها شيء، هو الأول على مدرسة الصاري، وتلميذ الأستاذ فريد خميس، وأنا الأول على مدرسة المُجمع وتلميذ الأستاذ أحمد الكفراوي.

هو متواضع إلى أقصى الدرجات، وأنا حاسس بنفسي بزيادة، أخفيت في داخلي رغبتي في الظهور، وسلمت عليه بأدب لقاء السحاب، وبدأت بيننا صداقة خفيفة لكنني كنت معجبًا به إعجابًا خفيًا لشيء عظيم فيه، وهو إزاي قادر يبقى متواضع كده؟!!

تمر سنوات ثلاث ونزداد قربًا ومعرفة، وكما كان عبد الحميد حواس عملاق اللغة الانجليزية، ومحمد علي فريد غبور أينشتاين الرياضيات، كان إسماعيل الطحان سيبويه النحو.

كان يجيب الإعراب التايه والغريب حتى أن أخيه وهو شيخي ومعلمي وله فصل كامل من حياتي الشيخ طه كان يُحذره من عمق معرفته.

إسماعيل هو رفيق درب من نوع خاص لم يقترب من مكانته إلا قليلين، منهم يوسف شلبي صاحبي في الجامعة ومعلمي كل معاني الطيبة والإخلاص.

إن الأقدار شاءت في كثير من الأوقات أن ألتقي بأصحاب هم من علموني كل الخصال التي ربما أحببتها..

العام القادم الثانوية العامة.. نلتقي نحن الأربعة..

إسماعيل الطحان

محمد أبو سليمان

محمد أبو العنين

وأنا..

نلتقي يوميًا نسير من بعد صلاة العصر حتى آخر الليل، نتناقش فيما سنفعله في العام القادم، حكايات نكررها كل يوم ولا نسأم الكلام عنها، ولا نغيب عن بعضنا.

قلت لهم ذات مرة أنا عايز نكتب الكلام ده في وثيقة ونخليه عهد فيما بيننا، كانت خطتي أن سنوات اللعب عدت خلاص، مطلوب نكون هاديين في الفصل، مطلوب ألا يسعدنا مدح لأن النتيجة ستكون المدح الحقيقي.

كنا عُصبة أو عصابة من مفردات الخير، ولم يكن الشيطان ليقبل بهذا أبدًا، وبلا أي أسباب أعرفها حتى اليوم اختلفت أنا وصاحبي إسماعيل، بكيت يومها كثيرًا وذهبت إلى أخيه ووسطت أخي لطفي في فهم ما أبعده عني فهو صاحبي الحقيقي، لكنها الأقدار..

تحول العام إلى كابوس حقيقي، نحن لا نتكلم مطلقًا، لا في الفصل ولا خارجه، وأظن كثيرين كانوا ينظرون إلى حالنا باستغراب، لكنها الأقدار حقًا..

دخل إسماعيل الجامعة في أسيوط، ودخلتها في القاهرة، وفرقت الأيام أعظم صديقين قرابة أربع سنوات، حتى كان لقاء في المدينة الجامعية حين عاد إسماعيل إلى القاهرة، لازلت أذكره وأنا أحتضنه ونبكي أن سنوات من البعد لم تكن أكثر من توكيد أنك تسكن القلب يا صاحبي..

في العام الذي يليه تُجرى لي جراحة ويحدث بعدها بعشرة أيام نزيف حاد أُنقل على أثره إلى المستشفى ومعي أخي وأبي ومعلمي إسماعيل، أربعة عشر يومًا ينام على كرسي بجوار سريري، وكان مشغولًا بامتحانات له، ولازلت أذكره يوم أصررت أن يبيت في بيته ليلة

إمتحان له حتى يستطيع التركيز فجاءني من الإمتحان يلومني إنه محلش كويس لأنه تركني هذه الليلة.

إسماعيل هو صاحبي الذي يسكن قلبي، صاحب من نوع خاص جدًا ..

إسماعيل يعني التواضع في صورة رجل صالح..

إسماعيل يعني الكلمات القليلة والمعاني الكبيرة وأنا أُحدث عنه ولدي عمر قلت له:

- الوحيد اللي في رقبتي له دين صداقة ولم أوفه حقه.

إسماعيل هو الصاحب اللي على الطريق، تحس معاه إن الدنيا لسه فيها خير، هو تلميذ أبو بكر في الصُحبة، هو الأخ الذي لم تلده أمي..

إسماعيل هو مثلي الأعلى منذ زمن طويل رغم أنه لا يعرف ولم أخبره بها لحيائي منه..

إسماعيل هو شيخي، معلمي، قدوتي وصاحب الأفضال..

دمت صاحبي الذي لا يعرف مكانه ولا مقامه في قلبي إلا الله..

(٢٥)

الأستاذ أحمد الكفراوي "رحمه الله"

العام.. ١٩٧٨ - ١٩٧٩..

المكان.. مدرسة شرباص الإبتدائية، أستاذ اللغة العربية..

كان أول من كشف عن كوني أصلح لأن أكون متعلمًا جيدًا، عاقبني مرة واحدة عصا ما زالت حلاوتها على ظهري؛ لأني لم أعرف إجابة سؤال وقال لي وقتها:

- "عبد الناصر النجار عيب إنه يغلط".

كنت من تأدبي معه لا أستطيع أن أرفع عيني في عينه، فلقد كان زمنًا رائعًا تعلمنا فيه جميعًا معنى احترام المعلم، فكان من أول الذين وضعوا قدمي على الطريق.

التقيت به مرة بعد حصولي على درجة الماجستير، كان يمر من شارعنا حيث أسكن بقريتي لم أدر ما أفعل وقتها بهذا العملاق الذي يملأ الآفاق في ناظري، التصقت بالحائط أستتر به حتى وصل، ومددت يدي أُسلم عليه وقلبي يرتجف كما كنت تلميذًا عنده، فقد كنت أحبه وأخشاه وأحترمه كأبي.

سلم على وسألني عن حالي فلما بلغه وضعي العلمي تبسم ابتسامة الأب الذي حصد زرعه بعد زمن طويل، كانت هذه الابتسامة بالنسبة لي كشهادة الدكتوراة..

رحم الله أستاذي وأسكنه فسيح جناته..

(٢٦)

الأستاذ رجب الخميسي "رحمه الله"

نقلة نوعية في تاريخ اللغة العربية..

كنت في حلقة سابقة قد حكيت عنه عندما امتحنني في حفظ القرآن الكريم وسحب مني مشيخة قد أعطانيها..

هو من هو!!

رجل لا يُشق له غبار، أقرب في الشبه لأبي الطيب المتنبي -لمن قرأ سيرة المتنبي جيدًا.

كان رجلًا من العيار الثقيل جدًا، عنصر اليورانيوم في الجدول الدوري لمندليف، عنصر لما ينشطر يُعطي نورًا ونارًا ودفئًا، وما يتبقى من الانشطار يكفي لصنع كيانات أخرى..

رجل بألف رجل، كلامه لا يخرج في أي مجلس فهو لا يجالس سفيهًا ولا ضعيف عقل.. هو حتة ألماظ على قمة تاج المعرفة، فوق رأس كلمات اللغة التي يعلمها جيدًا.

كنت أرتاد مسجد البلد الكبير في صلاة الجمعة، كان صوته ولغته واختيار مفرداته تقعدك أمام المسجد حيث الزحام وحر الشمس

وصيف بلدنا -والبطيخ اللي متقطع في البيت يوم الجمعة بالذات- دون ضجر ولا ملل رغم طفولتي آنذاك.

كان الرجل يفيض طولًا رغم بساطة جسده، وتموت كل الكلمات على لسان محدثيه تأدبًا لوجوده، كان قولًا واحدًا متنبي أيامه الرائعة.

خطأ في تشكيل كلمة تؤلمه، وإعراب خاطيء في جملة تخرج من عينيه وعلى تعابير وجهه حالة من السخط المشرب بالوجع.

كنت أصغر من أن أحضر مجلسه لكنه كان يجالس أبي وأخي، ولولا خشية الامتحان لجلست له بالمرصاد.

العام الواحد والثمانون بعد تسعمائة وألف، إنه العام الأول في المرحلة الثانوية العامة، يدخل الفصل يشرح لنا قصيدة، كانت قصيدة الأعشى في يوم ذي قار، وهي قصيدة من العصر الجاهلي..

لما رأونا كشفنا عن جماجمنا

ليعلموا أننا بكر فينصرفوا

قال البقية والهندي يحصدهم

ولا بقية إلا السيف فانكشفوا

هذه بعض من أبيات القصيدة مازلت أذكرها..

كنت أراه شاعر القبيلة وهو يُلقي الأبيات.. ثم كانت الإشارة قوم يا نجار أقرأ!! أولًا إنه الآن يعرفني..

وقفت في التختة قلق مما سأقول، وقرأت دون تعظيم للحروف ومخارجها، ودون إمعان في طبقات الصوت ودلالاتها، ودون غضب بني بكر و هزيمة عدوهم، لم تكن كلماتي تقطر دمًا..

فصرخ فيّ بشدة:

- أصمت.. ما هكذا تورد الإبل الماء..

علمت ما يريد وكنت كمن ينتظر الإشارة، تحولت ساعتها إلى العبسي عنترة ونسيت الفصل والحضور، وركبت غر الكلمات لا ألو على شيء، كانت القصيدة تقطر دمًا وعزًا وجاهلية، وأنا أحمل سيف عِز الكلمات، أصول وأجول بين الأبيات لم ينزلني من على صهوة الكلمات إلا جرس عم وِدّ الصعب.

من هاهنا كانت البداية.. لقد جمعتنا بنو بكر..

الأسبوع الذي يليه يدخل إلى الفصل، كانت حصة تعبير يأمرنا أن نكتب العبارة الآتية..

"لسان العاقل وراء عقله وعقل الأحمق وراء لسانه"

أكتب في هذا الموضوع..

رفعت يدي لأتبين الطريق فقال دون أن يسمح لي بالسؤال:

- أقرأ كتاب الوصايا العشر لخالد محمد خالد، والكتاب موجود في مكتبة المدرسة.

لكنني لم أُنزل يدي رغم أنه أجاب السؤال الذي كنت أنوي طرحه.

سألني عما أريد، فقلت أذهب إلى دورة المياة.

خرجت مسرعًا إلى المكتبة واستعرت الكتاب، وحملته بين لحمي وعظمي ودخلت الفصل، تبادل معي نظرة من يعلم أين كنت، وقال في وصف ما فعلت "اختطفه نسر"..

لكن الأقدار كانت أسرع من أن تتركه لنا، كانت آخر لحظاتي معه تلك اللحظة وهذه النظرة، كتبت موضوع التعبير لكنه لم يقرأه، فقد غادر الدنيا -يرحمه الله-.

لقد كان حقًا نقلة نوعية في تاريخ اللغة العربية..

(٢٧)

أستاذ حامد خليفة "رحمه الله"

رجل من خيرة الرجال.. كان العام الثاني الثانوي، لم يكن مدرسي لكنه كان أحد الذين يصنعون الخير من قلوبهم، كنت أجده حنونًا أو ربما قل متفهم لشخصيتي.

في الصف الثالث الثانوي قررت أن يكون مُدرسي في الرياضيات، عقله متوقد وأنا خجول إلى حد كبير، وكنت قد اتخذت قرار الصمت حيث أصبحت متلقيًا للعلم أكثر من أن أكون متكلمًا به.

كانت لي معه حكاية عظيمة، مسألة أحد أطرافها ما لا نهاية كان قد أحضرها على ما أذكر صاحبي إسماعيل الطحان -إن لم تكن الذاكرة تخونني- وكنا جميعًا نفكر كيف نحل هذا اللغز، وبينما نحن جميعًا صامتون قلت للأستاذ حامد:

- نحط بدل ما لا نهاية واحد على صفر وبكده ممكن نحل المسألة..

وضع أستاذي ما قلت فَحُلت المسألة، ومن وقتها تحولت في عينيه إلى شخص آخر..

كان يُكبرني ويقدرني حقًا، ولما ظهرت النتيجة سألني عن درجة الرياضيات، وكانت مرتفعة ولله الحمد، كان يقول بطريقته مبروووك، وكنت أشعر أنه يبارك لنفسه.

كان صادقًا في عطائه وجهده من الفريق الذي لا أستطيع أن أكلمه إلا وأنا أقف ناظرًا في الأرض تأدبًا واحترامًا وتقديرًا وإجلالًا.

عندما التقيته وقد أصبحت أستاذًا جامعيًا، كنت أرى على كتفيه نوط الكفاءة من الدرجة الأولى..

إنه معلم الأجيال.. الأستاذ حامد خليفة -رحمه الله.

اللهم ارحمه وأحسن إليه كما أحسن إلينا، وجازه بالخير والإحسان عن كل ما علمنا وقدم لنا..

رمضان في بلدنا

(٢٨)

رمضان في بلدنا

(١)

هذا شهر له خصائصه وبشدة.. في انتظار بشرى إعلان الهلال في الراديو أو التلفزيون.. الناس تكنس أمام بيوتها، الشوارع غير مرصوفة، يتم لم الورق وعمل ولعة نار في جنب.

الناس تبارك لبعض.. رمضان كريم.. الله أكرم.

حالة من السعادة تملأ القرية، وجوه الناس جميعًا مبتسمة، وحالة من الطواريء تُعلن في البيت..

طبعًا لازم أروح أجيب الفول من عند عم شطا في آخر البلد عند الصاري، وفي الطريق الإضاءات على غير العادة تحس إنه فرح أم شيماء والبلد كلها صاحية حالة من الاطمئنان غريبة، مفيش خوف من أي جنية ولا عفريت -ولهم سرد فى حلقة عفاريت بلدنا- العفاريت خلاص إتسلسلت يعني مفيش خوف.

الليلة فيه سحور.. الله.. الله..

أمي من العصر أكدت إن حد يجيب جركن لبن علشان هتعمل مهلبية، يعني مطلوب نشا من دكان أبويا وهبة، بعد العشاء كل شيء

جاهز أمي تصنع المهلبية، اللبن على نار الوابور عليه السكر والفانيليا ال ريحتها تجنن، وأمي قاعدة تحط نشا متدوبة في مية وتقلب ولما تبقى جاهزة تغرفها في أطباق.

لكن الحلة فيها جزء باقي ستقوم عليه حرب البسوس بيني وبين إيمان أختي وأحيانًا ماجدة.. للمهلبية السُخنة طعم تاني، وطبعًا أمي واقفة في صفي، لكن في حالة حضور أبي قمة الأدب والأخلاق تَحِل، ويستحيل أن تسمع لنا صوتًا.

طبعًا أؤكد على أمي ألف مرة إوعي تنسي تصحيني ساعة السحور، مفترض إن ليا على الأقل طبق مهلبية، دا أنا أروح فيكم في توكر - وتوكر في بلدنا أحد الكلمات المجهولة والتي سنتعرف عليها فيما بعد.

المسحراتي يسير في الطرقات ومعه طبلة صغيرة وجِلدة يضرب بها عليها فتنتج لحنًا متناغمًا، وينادي بأسماء أصحاب البيوت، إصحى يا إبراهيم، يا حج محمد إصحى..

مسحراتى منقراتي.. ماشي في البلاد سواااح..

ورمضاااااااان كريييييييييم..

فيما قبل سن السادسة كان صعب الصيام لكن كنت أفطر في الخفاء، ضحكات إيمان ومعايرتها ليا وغناءها "يا فاطر رمضان يا خسران دينك" كنت أبكي من هذه الكلمات، لكن أيضًا كنت أستيقظ من صوت الملاعق في صحون المهلبية، ولأني لن أصوم قد ينهرني أحدهم إن حاولت القيام للسحور، لكن أمي كانت تأتيني وتقول لي:

- متخافش أنا مخبيالك صحن مهلبية..

لكن عصفور في اليد ولا صحن عند أمي.. مفيش فايدة أنا لازم أصحى وأدوق المهلبية، وبكره له رب كريم..

هذه ليلة فتح برطمان الجبنة القديمة وساعات يكون بلاص الجبنة وعليها الفلفل الحار من ٣ شهور متحضرة لرمضان.. دا أنا لو مصحيتش هأوديكم في داهية!!

في عامي السادس أعلنت أنني سأصوم، والصيام صدق أمام الله لا تجوز فيه أي خيانة، يعني إنت أمين على صيامك.

كان أذان العصر بداية دخولي في دوخة وريحة الأكل بتزود زقزقة عصافير البطن، وأمي شيفاني بأطّوح من الجوع فتتردد أن تجعلني أفطر.

من الآن تبدأ المقاهي في الاستعدادات، الشارع يترش ميه، ونار قلاويح الدرة تتولع علشان الشِيَش، وخناقات تبدأ بعد الناس ما ترجع من صلاة العصر تحس إنها نوع من شغل الوقت، تتعالى الأصوات وربما الأيدي ويمكن تقلب بعاركة تطير فيها كراسي القهوة، وناس تحَجِز وناس تقول إنت صايم، وناس تقول لبعض صيامك هيروح، وناس تأكد إوعى تشتم بالدين إنت صايم، وتستمر الخناقة من بعد صلاة العصر حتى نصف ساعة قبل المغرب ثم تتوقف الخناقة فجأة والناس ترَوح تفطر وتتقابل على القهوة بعد الفطار وكُلهم يعذر الآخر، إنت عارف الصيام وشدة الأعصاب

وتتكرر كثيرًا وإنت عارف إنها كانت شَغل وقت والناس صايمة وقلة الدخان والقهوة هما السبب..

باقي ساعة على المغرب، تناديني أمي إطلع جري هات تلج من عند محمد طُلبة تاجر الأسماك الذي يبيع التلج القادم من مصنع تلج دمياط..

وشراء التلج من عند محمد طلبة حدوتة تانية..

محمد طلبة عنده حنطور ويبيع الجرائد وتاجر سمك وملك ملوك التلج في رمضان، ويحبني جدًا، بل ويجلسني جنبه على الحنطور وأنا رايح المدرسة..

التلج له ملمس خاص على الخد مع الصيام، وأنا جايبه وجاي من على البحر لغاية البيت، التلج هيتحط في الليمون اللي هنشربه على الأذان، لكنني سأشترط على أمي أن تعطيني قطعة تلج في كوباية الليمون خاصتي.

باقي نص ساعة.. قرآن المغرب بصوت الشيخ رفعت يملأ سماء القرية نورًا وحنانًا وغِبطة، وأنا أوشك أن أسقط من البلكونة من حالة الجوع والدوار والصداع الذي سيأتي لاحقًا.. أقف في البلكونة أحمل كوب الليمون

العايم على وشه حتة تلج والناس تتحرك عائدة إلى بيوتها، أهو برضه حاجة ترفع الرأس وإنت واقف شايل كوباية ليمون ومنتظر الأذان، دا في حد ذاته إعلان دخول عالم الرجال..

ينتهي شيخنا رفعت من القراءة.. دقائق تمر مع الجوع والعطش طويلة جدًا..

أذن يا شيخ حامد أبوس إيدك!!

الراديو يؤذن الله أكبر.. الله أكبر..

صوت أمي يتعالى:

- محدش يشرب غير لما الشيخ حامد يأذن.. أذن بقى يا شيخ حامد حرام عليك!!

وإذا به يرفعها.. الله أكبر.. الله أكبر..

طعم الليمون البارد ينزل إلى معدتي المعتصرة من الجوع، ملامسة التلج لشفايفي نوع من المصالحة والمسامحة، أجلس على أرض البلكونة فقد شبعت..

أمي تعض على يدها "تعالى إفطر" وأنا في حالة من السُكر بالليمون.. أنا جاي أهه..

طب إشرب شوية شوربة سخنين.. اليوم الأول لحمة أو بط، وطبعًا فيه شوربة وفيه فتة، لكن أنا في عالم آخر..

أنا في غياهب الليمون أبو تلج..

ورمضاااااان كريييييم..

(٢٩)

سنة أولى صيام

"يا بركة رمضان خليكي في الدار"

أغنية من أيام الطفولة في قريتنا البعيدة على صوت قرع الصفائح والحلل نغني في الأيام الأخيرة من الشهر الكريم "يا بركة رمضان خليكي في الدار".

حقًا إنه شهر بركة أغلب الناس في قريتنا تُصلي في رمضان، وغالبًا ما تكون معظم الصلوات في المسجد على غير عادة الأهل طوال العام، المقاهي تُغلق صباحًا حتى أذان العصر، ثم تدب الحياة في القرية من بعده.

الصباح صامت في كل البيوت حتى أذان الظهر ثم ينجلي غبار الكسل استعدادًا للطبخ.

أول عام يصومه كل طفل غالبًا ما يكون في سن السادسة، يخبره الجميع من بعدها أنه الآن قد أصبح رجلًا..

أمي تُشفق عليّ من الدوخة والتعب الواضح والرغبة في نيل أي شيء أُدخله معدتي التي لم تتعود الصيام بعد، كبدة الفرخة أو الأونصة أو حتى الرقبة ومعها الرأس، ولو حتتين بطاطس من تلك الحلة التي

تغلي على الوابور ومعها تغلي معدتي ويسيل لعابي وأحيانًا دموعي من الجوع.

لكن لو أفطرت ستنكسر فكرة أنني أصبحت رجلًا، المقاومة مطلوبة، والتقلب على كل شبر في البيت بحثًا عن الراحة هو الحل.

الذهاب إلى المسجد للصلاة وسؤال كل من تلقاه عيني عن الساعة كام؟ وباقي كام على أذان المغرب؟

يرتفع أذان العصر وها هي الدقائق تطول، أمي تطلب مني بعض المشاوير أقضيها أملًا أن ينتهي اليوم..

أخي يناديني عند الرابعة والنصف ويقول:

- إجري بسرعة هات التلج من عند محمد طلبة.

طابور التلج وحَمل التلج وملمسه شعور يعطيك الأمل إن الدنيا لسه بخير..

صوت القرآن القادم من جامع البلد الكبير، والشيخ رفعت يشدو، وأنا أقف في البلكونة مستمتعًا، تناديني أمي:

- إجري بسرعة ودي الطبق ده لعمتك فتحية..

بيت عمتي قريب من بيتنا، وعمتي هي زوجة خالي أيضًا، رائحة طبخ عمتي وحلوياتها تجعلني أفقد التركيز خاصةً عندما تعطيني طبقًا مثل الذي ذهبت به لأعود وأعطيه لأمي.

على باب البيت أسمع صوت الشيخ حامد يؤذن الله أكبر.. الله أكبر..

لا صوت يعلو فوق صوت معدتي.. الله أكبر حلالًا زلالًا، أبو حنيفة قال يجوز للجائع الصائم إنه يأكل من طبق عمته قبل ما يوصل البيت..

أدخل على أمي وفمي مِلحوس من طبق عمتي ذلك الذي إذا رأيته شعرت أن السلعوة قد أكلت كتف الشاة..

ويا بركة رمضان خليكي في الدار..

أعياد بلدنا

(٣٠)

العيد الصغير

رمضان ينقضي عند اليوم العشرين عندما يتغنى الشيخ حامد أبو إسماعين "لا أوحش الله منك يا شهر الصيام" نتبادل جميعًا جملة رمضان جري بسرعة كده ليه!!

العشر الأواخر والاعتكاف في المساجد، وقربنا من عمايل الكحك، طول الشهر صواني رايحة وصواني جاية..

من المقدسات في هذا الشهر الكنافة.. وما أدراك ما الكنافة!! حكاية جيل بأكمله..

الكنافة لازم تتعمل من دقيق فاخر، ولازم العجين يتعجن لحد ما يقطع عرق يعني يبقى سايب، وأروح عند نينتي نبوية علشان تعمله كنافة..

نينتي نبوية زي كل ستات البلد مش نينتي، لكن الأدب يستوجب كده.. من الصباح نحمل العجين ونرجع المنزل عند الظهر..

الكنافة تتقطع والصواني تطلع وتندهن سمن بلدي، وطبقة كنافة فوقها طبقة مكسرات، وطبقة كنافة تانية وشوية سمن بلدي، وتدخل الفرن البلدي، وعلى ما تطلع تكون أمي عملت الشربات اللي هتسقي بيه الكنافة..

كل ده وأنا رايح جاي على أمي ولولا الملامة كنت أكلت الكنافة نية، ناهيك عن المكسرات، لكن أنا صايم وعيب أفكر كده..

تخلص الصواني وأبدأ في مهنة الدليفري.. روح ودي لعماتك، دي لعمتك فتحية، ودي لإحسان، ودي لهانم ودي لفاطمة.. وحد كبير يروح يودي لسعاد في العزبة.

أذهب إلى عماتي.. وطبعًا مرجعش بإيدي فاضية، لازم عمتي تعطيني حاجة تراضيني، ياكش حتى بيضتين من اللي الفراخ بيضاها، وإن كان مفيش يبقى شلن، وتُصر عمتي في الدعاء لي ولأبي، وتؤكد عليّ "هات لك حاجة حلوة بالشلن دهوه".

وأنا على الباب نص الشارع يسمع دعاها، وحكاية الشلن والحاجة الحلوة، وكل عمه تعمل كده، وكلهن لا ينسين الدعاء.. يجبر خاطرك يا محمد يا ابن غالية.. إنه أبي وأخوهن الأكبر وعزوتهن وسندهن..

روح إلهي يجبر خاطر أبوكم فيكم.. وإن كانت معي واحدة من إخواتي البنات زاد الدعاء بجملة "ولا يجوزكم حد غيره".

تعزم عليّ عمتي أن أبقى قليلًا، فأخبرها أني مستعجل علشان لسه رايح لعمتي التانية، تزيد المشاوير حيث أذهب لأعطي من الكنافة لجيراننا وأبناء عمومة أبي، وهم أيضا يرسلون إلينا.

يقترب الشهر من الانتهاء، العيد قرب وأمي تميّل على أبي وتقول في هدوء:

- عايزين نجيب لبس العيد للولاد.

واحنا -ما شاء الله- كنا سبعة، وإن كان منا ثلاثة كبروا، إلا أن هناك تلات بنات وأنا آخر العنقود..

يشتري أبي القماش، أما البنات فإلى الحاج محمود أبو سلامة أفضل خياط في البلد، وأما الأولاد فالاختيارات متعددة، عنده الأسطى عبده بصل أو الأسطى عزت أبو قورة..

ولأن البلد كلها بتودي القماش في وقت واحد تكون هنا الطامة الكبرى، ليلة العيد البلد كلها قاعدة عند الخياطين للصبح، جلست حتى استلمت البيجامتين الكستور، واحدة مقلمة بُني والتانية رمادي، رجعت بهم إلى المنزل وأخدتهم في حضني حين ذهبت للنوم.

رائحة الملابس الجديدة حكاية تانية، أمي تضع الحلة على الوابور لتسخن الماء وتاخد بالكوز أو الكوباية وتحميني بالليل علشان ما أبردش لو استحميت الصبح، وغالبًا تعطيني العيدية بالليل، لأنها بكرة هتفرض الوصاية على عيدياتي كلها تحت مسميات الاستعمار والكلمة الخالدة "أنا بحوشهم لك يا خايب".

في الصباح أمي تقول لأبي كل سنة وإنت طيب يا أبو محمد وتدعوا له بالرزق قائلة "يعطيك ويغنيك ويرزقك برزقهم".

يسلم أبي على أمه -جدتي- ويقبلها ويجلس بجوارها فتدعوا له بالصحة والستر..

يخرج أبي وقد لبس الثياب الصوف المكوية عند عم شحاتة بمكوة الرِجل لصلاة العيد بعد أن يعطيني العيدية، وقد كانت ما بين شلن وبريزة، وكله أمي بتحوشهم لي.

كل من سيزور بيتنا نأخذ أوامر ألا نظهر أمامه لأن كده عيب ومعناه إنكم مش متربيين، وإنكم عايزين عيدية، البنات طبعًا لا تخرج أمام أي غريب ولا قريب حتى يسأل عنهم، لكن أنا اللي روحت دكان وهبة وجبت الكازوزة الساقعة وجيت مفروض أبان، ومفروض الضيف يختشي ويعطيني العيدية، ويبقى حلو أوي لو كنا بعد الظهر علشان مش هيشربوا الكازوزة وأنا طبعًا اللي هشربها.

ينتهي اليوم بحصيلة لا بأس بها، في الغد سوف أذهب حيث مكان المُولد، حيث المراجيح والبالوظة وضرب البُمب.. غدًا سوف أعبث عبث العام بأكمله..

غدًا سوف ألبس البيجامة التانية؛ لأن بيجامة اليوم الأول أصبحت شبه أفرول الميكانيكي، وعليها من التراب ما قُدر لها، لا تسألني كيف وأنا لم أخرج من المنزل وأذهب بعد للعيد..

ولك أن تتخيل حالي في آخر اليوم، ومنظر بيجامة اليوم التاني وكأني طالع من بير بترول..

(٣١)

ليلة العيد الكبير

يوم عرفة يوم صيام عند الجميع، وبالطبع لازم يكون في طبيخ، لكن أمي كان عندها رأي تاني إن يومها نفطر أي حاجة عادي..

عادي إزاى يا أَمّه!!؟

أيوة عادي.. علشان هنفطر الصبح لحمة وفتة وبطاطس دمعه.. وفيها إيه لو الحياة بقت كل يوم فتة ولحمة وبطاطس أو قلقاس.. يا سلاااام دا يبقى شغل عالي!

يوم عرفة يوم مختلف عن كل الأيام، طبعًا مش من باب الإيمان والتقوى، لكن على العصر أمي تبدأ تحضر علشان بكرة اللي هو العيد.. تجهز الخضار ال هيتطبخ، وأنا أروح للجزار عم رجب الحلفاوي أو عم عبد الرحمن أبو خضر، وأخيرًا عم شعبان العشري أقوله أبويا بيقولك هات اللحمة.. أجيب اللحمة وأعطيها لأمي لتبدأ التجهيزات التي تستمر طوال الليل.

وطبعًا كان هناك فكرة الضرائب التي أفرضها على أمي في كل مشوار، حتى لو رجعتني بحاجة أنا جبتها ومعجبتهاش، يبقى هحسبه مشوار جديد بضرائب جديدة، أو ربما تكون إتاوة -ودا موضوع محتاج حلقة لوحده؛ لأن هذه الإتاوة كان لها سبب وهدف-.

الرز يتنقى بالنهار، واللحمة تتغسل وتتجهز، ولازم طبعًا يتقال موال كل مرة اللحمة المرة دي مش كويسه وفيها دهون كتير..

وبعد ما أبويا ياكل ويقول لها "تسلم إيديكي يا أم محمد" تبقى اللحمة حلوة وعظيمة..

هو يعني اللي جابها أبويا!! مفيش تسلم إيدك يا ناصر!

مفيش شوية تقدير على المشاوير ال تعبت فيها دي!!

لكن ما علينا.. يأتي الليل ومعه النوم، وهذا في حد ذاته هيجنني، عايز أصحى قبل الفجر علشان أحضر الطبخ وكأننا لا نطبخ في بيتنا مطلقًا إلا ليلة العيد.

أكيد طبخ الليل غير طبخ النهار، طبخ الليل قصة مختلفة، دا بيتعمل يوم واحد في السنة، في هذه الليلة أُحلف أمي بأغلظ الأيمان وأوشك أن أبكي لها وأنا أؤكد عليها إن صحياني كوم وكل مشاوير السنة الجاية كوم وربما جئت بمصحف أبي وحلفتها عليه..

ماجدة وإيمان وسلوى مشاركات فاعلات في هذا الحفل، لكن أنا ولد ومالي ومال الطبخ!!

وطبعًا في الليل كل المحلات قافلة، وأنا جبت كل حاجة بالنهار.. وابتسامة من إيمان ملخصها "نام متخافش"

- وأهو ده اللي مخوفني!

تقريبًا أمي مبتنامش خالص، لكن أنا ماسك فيها زي دودة القز، فتتسحب من جانبي في عِز الليل، وآه لو كان العيد في الشتا، يبقى له طعم يفوق القلقاس واللحمة..

صوت الحلل يوقظني من عِز النوم، إن الجريمة التي كنت أشك أن تحدث قد حدثت بالفعل..

الوابورات شغالة، واللحمة والبطاطس والرز على النار، إنها جريمة مكتملة الأركان..

الله.. الله.. فين الوعود؟!

أبدأ في صناعة النكد، وليه؟ وإزاي؟ وأنا مالي!

نظرة من إيمان مع ابتسامة المنتصر "خش نام.. إنت راجل مالك ومال الستات والطبيخ؟!"

أبويا نايم يعني كل الأدب اللي في الكتاب حاضر، وأي صوت هيعلى ممكن تتنصب محكمة دنشواي.

أذهب إلى أمي أترنح من الرغبة في النوم، لتقول لي:

- نام وهصحيك تروح مع أبوك تصلي العيد.

هو أنا صاحي علشان صلاة العيد؟ أنا صاحي علشان اللي بيحصل في البيت على غير العادة، أنا هروح فيكم في توكر، إنتم إزاي مش فاهمين أهدافي؟

اللحمة الفجر أكيد لها طعم غير اللحمة الظهر، وأكيد أنا صاحي جعان يا عالم..

طب شوية رز وحتتين بطاطس، وممكن أدوق اللحمة لو عايزين تعرفوا إستوت ولا لا!

هو إنتم فالحين بس في رمضان تقولوا دوق علشان إنت مش صايم؟ اللي يمشي على رمضان يمشي على ليلة العيد..

المفروض أنا أبقى متخصص أدوق أي حاجة علشان أعرف مستوية ولا لا..

النهار قرب يطلع وأبويا صحي علشان صلاة الفجر يعني أعمل نفسي نايم تاني ولا إيه؟

ولو عملت نايم إيمان مش هتسكت هتقول لأبوها عبد الناصر صاحي ونفسه يصلي معاك العيد..

مفيش فايدة.. لازم أروح أصلي العيد مع أبويا.. ولأن أبويا حاضر فأدب الدنيا كله موجود، سريعًا أعود إلى البيت وأدخل أسأل فين اللحمة والفتة؟

أقعد جنب أمي وأؤكد عليها لازم هتغدى لحمة.. لحمة الفطار هتطير بعد ساعة..

أجلس بجوارها، تعطيني نصيبي من اللحم ولا أمد إيدي عليه كأنه أمانة عندي، وأمي تطعمني من اللحمة اللي قدامها، وخلال دقائق أكون قد شبعت.

طب على إيه الفيلم ده كله؟ هو كده.. ولازم كده..

ولازم هتخانق بس أبويا يقوم يغسل إيديه..

هو يبقى عيد غير بالمناكفة!!

(٣٢)

العيد فى بلدنا

(١)

بلدنا كانت تسميه العيد الكبير لأن عيد الفطر اسمه العيد الصغير -معرفش ليه لكن ده اسمه في بلدنا..

والعيد الكبير مش شرط يكون فيه لبس جديد، إحنا من شهرين لسه مفصلين بيجامتين كستور مقلمين وواحدة منهم مؤكد لسه فيها الروح.

العيد ده عيد اللحمة وكأننا مكناش بناكل لحمة من أساسه، لكن لحمته لها طعم تاني، يوم الوقفة أمي دايمًا تقول "ناكل أي حاجة النهاردة" ليه يا أَمّه كده!!

ما إحنا الصبح هناكل لحمة وفتة وتعض على صباعها وتقول وهي تستدرجني للقبول بالمشاوير:

يا خايب دا أنا مخبيالك اللي بتحبه..

وأنا عايز أقول لها:

- إنتي بتكذبي يا أَمّه.. فين المشكلة في اللحمة وقفة وعيد؟!

لكن كل البيت موافق على القرار البنات من باب الكسل لأنهم هيغسلوا الحلل كده مرتين، والرجالة من باب الزهق غالبًا، أو أمي كانت مخبية لهم حتة بطة من بتاعت اليوم اللي قبله وشاريه بيها زمتهم، مش معقول وأنا الصغير أنا اللي هقود التمرد على ظهر السفينة بونتي.

العيد بيبدأ يوم الوقفة.. أبويا يروح يجيب لحمة من عند الجزار، ويجيب كميات علشان أوزع على عماتي دا عيد اللحمة، يعني آخد لفة لحمة ورز وبطاطس وألف على عماتي عمة عمة، وبرضه خالي حلمي يجيب لنا كده..

على العصر يبدأ برنامج يوم جديد، أمي تبعتني أجيب بطاطس وطماطم وغالبًا جاز علشان الوابور، وكل مشوار من دول لازم أجيب لهم الضغط وأنا أصيح:

- ليه أنا اللي أروح؟ إيمان تروح معايا..

ماجدة وسلوى كبار وعيب أقول يروحوا معايا، وأمي تعض على إيدها وتقول يا زين ما خلفت، عايز البنت هي اللي تروح؟!

وأضرب رجليا في الأرض، وأضع شروطي بقبول وقف إطلاق النار، شرط إني أصحى قبل الفجر معاها وهي بتطبخ..

الرز يتنقى، والبطاطس تتقشر، والطماطم تتعصر.. ويأتي الليل وأنا أقاوم النوم مقاومة المحتل، لكنه يغلبني دائمًا..

أتساقط من هول الإجهاد وأنا أحلفها بالعزيز والغالي وأتوعد إن ما هيحصل طيب لو ما صحيتوني.

وأختي ايمان تنظر إلى بابتسامة أنا عارفها كويس ملخصها "نام ولا حد هيصحيك" فأصرخ وهي تضحك لأنها ستشاركهم طبخ الليل الذي لا يحدث إلا مرة واحدة في العام..

تضحك وأنا كما تقول أمي "بأتنطط زي الفرخ المدبوح" وأخيرًا أنام لكن صوت الحلل واستيقاظ أبي لصلاة العيد توقظني، أخرج إليهم ومعي زعابيب أمشير، وربما هجمت على إيمان أختي دون أي سبب إلا أن على وجهها ابتسامة.

لا يسكتني إلا حكمة أمي حين تقول لي:

- دوق حتة اللحمة دي شوفها استوت!!

وكمان معاها بصلة من الشوربة ولو حبة رز عليهم كام بطاطساية يبقى جبرت واتعشت.

في الشتاء دفء النار بجوار أمي دفيء قادم من الجنة وحرارة الوابور في الصيف لا يصرفه إلا برد حنان أمي.

أحيانًا أذهب مع أبي إلى المسجد، وأحيانًا يكون لقطعة اللحمة تأثير المخدر، الطبلية تُعد وعليها الشوربة واللحمة والفتة والبطاطس غالبًا أو اللوبيا..

صوت الشيخ حامد وهو يكبر

الله أكبر.. الله أكبر.. الله أكبر

لا إله إلا الله

الله أكبر.. الله أكبر

ولله الحمد

الله أكبر كبيرًا

والحمد لله كثيرًا

وسبحان الله بكرةً وأصيلًا

لا إله إلا الله.. نصر عبده

وأعز جنده.. وهزم الأحزاب وحده

الأعياد في قريتنا كما الأحزان تغسل الناس من الداخل وتفتح يومًا جديدًا، وودًا جديدًا، وحبًا جديدًا..

(٣٣)

العيد في بلدنا

(٢)

يظل البيت هادئًا حيث يبدأ صخب الشارع، لكن صخب الشارع مُكلف ويحتاج منحة من صندوق النقد يطلق عليها العيدية.

والعيدية فرض عين على كل مقتدر من أهل البيت أو من يدخله، تقدر تقول ضريبة مفروضة على كل بالغ عاقل راشد في جيبه محفظة.

ولأني الصغير.. كنت أحظى بأول عيدية من أبويا، ثم إخوتي الرجال الكبار محمد وعبد الرحمن ولطفي، كان أخي محمد -رحمه الله- من مدرسة روح والعب واركب مراجيح وعيش يومك، وكان أخي عبد الرحمن -رحمه الله- طبيبًا آنذاك ورغم أنه فعل في الأعياد السابقة الأفاعيل إلا أن للطب هيبة تجعله يحذرني..

ممنوع بلوظة من عند عرفة.. ولا مراجيح أحسن تقع..

وهو ده كده يبقى عيد؟!

أما لطفي فكان أقربهم سنًا وكان الستر والغطا، ناهيك عن الحماية والإمدادات اللوجستية.

كان أبي ينزل إخوتي الكبار منزل الآباء في تربيتنا وكان لهذا مميزات وعيوب -لكنها ليست قضيتنا الآن- نبدأ من باكر حيث يزورنا خالي حلمي أول واحد الصبح، ولما يدخل البيت وأمي محذرانا جميعًا ممنوع أي حد يظهر، وتعض على إيدها وتقول "يا عودمات الترابي".

لكنني كنت أرى أن أمي تخدعنا، فأنا في كل مرة بشوف خالي بيعطيها عيدية، إشمعنا احنا؟!

ولا هي حلال للكبار حرام للصغار، يمين على عظيم ما هيحصل ولا رايح جايب حاجة ساقعة من عند أبويا وهبة قبل ما آخد العيدية، وأنا أتحنجل قدام خالي وهو أول الزائرين ولو أطال في الكلام مع أمي في أي كلام ملوش لازمة تخصني، هجمت عليه وقلت:

- كل سنة وإنت طيب يا خال..

وكأنني أقول له بقالك خمس دقايق قاعد إنت مش ناوي تدفع ولا إيه؟!

وغالبًا يدرك مقصدي ويعطيني العيدية وأمي تقول له:

- ليه كده يا حلمي؟

وتنظر إلى بعين صندوق النقد إنه قسمًا عظمًا لو خرجت من البيت مستغل قعدتي مع خالك ما هيحصل طيب، فإن شعرت باقتراب هروبي نادت "نااصر" وأنا أتراقص خلف خالي.

وإذا ما خرجت ربما كان فيها قرصة من اللباليب -واللي مش عارف اللباليب يبقى فاته كتير، خاصة لباليب العيد.

يخرج خالي مستعجلًا، وتأتي أمي وهي لسه واخده عيدية وتقول لي في محاولة لترويض الحمل كي يؤكل "هات أعينهم لك يا خايب"

يا أمّه أنا بقالي ٣ سنين بتاخدي مني العيديات، عايزة تفهميني إنك فاتحة لي بهم حساب في البنك!!

لكنها تكمل خديعتي كحمل بسيط وتقول:

- إنت عمرك قلت هاتي حاجة وأنا قلت لا؟!

تطمئن نفسي لحلاوة الخدعة فأُخرج كل ما معي من عيديات ونعدها مع بعض، وأنا أشبه التاجر اليهودي وهو مُصر على عد كل المال بنفسه، وأؤكد عليها هذه أموالي وشقى عمري، وهي تطمئنني قائله "في الحفظ والصون".

ثم تستدير للبنات لتأخذ ما معهم وبرضه في الحفظ والصون، وكثيرًا ما بحثت في غيابها عن "الحفظ والصون" ذلك المكان السري الذي تضع فيه أموالنا الطائلة لكنني أدركت بعد ما شفت فيلم على بابا والأربعين حرامي إنه غالبًا مكان سري يُفتح ببصمة صوتها هي فقط، وحتى أبي لم يكن يعرف الحفظ والصون فين اللي فيه فلوسنا، علشان جزء من فلوسه هو الآخر كانت في الحفظ والصون..

(٣٣)

العيد في بلدنا

(٣)

أنا بقى..

وتظل في البيت شيخ مشايخ الطرق والكباري حتى تخرج بعيدًا تُحلق بجناحيك حتى تأتي بك بندقية الصياد إلى أبيك..

في الواحدة ظهرًا تحدث ثلاثة أشياء.. تقل رجل الضيوف المرجو من زيارتهم العيدية، وحالة من الجوع تبدأ ومعها حتة لحمة وشوية فتة يرموا العظم، وثالثهم أن ينام أبي القيلولة..

هنا أبدأ اليوم..

الطريق إلى وسط البلد مليء بالأطفال وزملاء الفصل وحبذا لو زميلات الفصل حيث ملابس العيد الملونة مش مريلة المدرسة الملعونة اللي محسساني إن كلهم في مستشفى الصدر أو عليهم أحكام.. لبس العيد برضه يُعطي لحُب الدراسة طعم آخر.

وهأنذا أصل إلى أرض الميدان عند الصاري، حيث سارية مولانا إبراهيم أبو خليل الشرياصي، والمقام المُقام وذكريات المولد..

لكن اليوم مولد المراجيح وعلوت، والبلوظة وعرفة، والحلاوة النيفة وأبو خطاب، والترمس والحلبة.. والبُمب وما أدراك ما البُمب!! ويا لها من سعادة حين تكتمل ببندقية العصافير..

وأنا طول عمري عيل ملوش في أي حاجة غير الكتاب مع شوية حُب متدلدق جوه القلب غير مُعلن وربما غير مُوجه، لكنه يُعطي القلب أسباب البقاء..

يعني مليش في الكورة ولا الألعاب العضلية -لأنه مكانش فيه عضل من أساسه، أنا بتاع حفظ القرآن وشطارة المدرسة، وخد خُط واقرى ياسين..

لكن لابد من حضور العيد، يمكن ألاقي واحدة من زميلات الفصل ونعمل نفسنا مش عارفين بعض مش عارف ليه! ويمكن أركب المراجيح كي أُبدي لها أنني من رُكاب الأهوال وأنا في المرجيحة منهار، لكن لا مانع من المغامرة.

عيل قفيل ملوش أصحاب، واد من بتوع العلم قاعد في التختة الأولى وبيعيط على نص درجة، وصاحبي ساقط في كل المواد وطاير من الفرحة إنه نجح في الرسم.

اكتشف عند المولد إني مليش فيه، فأبدأ رحلة الفرجة على الناس وكأنني قادم من المريخ طبعًا مفيش بلوظة أكلها -لا خوفًا من أخي عبد الرحمن فحسب، ولا خوفًا من جهاز كشف الكذب حالة التحقيق عن البالوظة- لكن لأنني شايف إن البلوظة عليها تيارات

من الدبان وأنا لسه قارئ كام معلومة عن الدبان ومتخيل الدبان عمل إيه على البلوظة..

كان نفسي جدًا أبقى صايع، لكن الأقدار وقفت في طريقي، أنا مش نافع في أي حاجة غير التعليم، ينقضي اليوم الأول متفرجًا على كل شيء ومستمتعًا بلا حدود.

وغالبًا يختمها المرور على قهوة فتحي حيث التلفزيون والمسرحية وواحد سحلب عليه فول سوداني بقرش ونص وربما كررته لما ذهبت حرارة نصف الكوب وانتهت كل حبات الفول والسمسم وأصبح السحلب بقايا حياة كانت تضج بالحياة..

لكنه حقًا كان عيدًا..

عادات بلدنا

(٣٥)

أفراح بلدنا

كانت الأفراح في قريتنا أحد لحظات الإصلاح بين الناس، كانت عيدًا حقيقيًا لكل الحضور، لحظات الناس بتفرح لبعضها من قلبها، لحظات الناس بتسند بعض بتسديد النقوط، وأهي جمعية ودايرة..

أيام قبل الفرح يبدأ عمل الكحك والبسكويت والغريبة وكان اسمها في بلدنا "اللقمة البيضة".

والأزمة أن أمي لازم تروح تجامل ودا شيء فوق السيء، إذ لا جلوس لي في البيت وليس فيه أمي، وطبعًا لازم أروح لها الفرح وأفضل أزن عليها، وخالتي أم العروسة تعطيني من الكحك المحروق اللي تحس إنه معمول عليه عمل، طب هو ماله الكحك السليم!!

لكن هو ده سلو بلدنا، الكحك السليم هيروح للعروسة وحماة العروسة -اللي هي أم العريس، وأم العروسة لازم توزع على كل الأهل والأحباب، الصراحة تحس إنه مولد والناس شبعانة فيه لطم.. وكله على حساب صاحب المَخِل "أبو العروسة".

اليوم السابق للفرح يوم الحنة عند أهل العروسة، يوم ملزق من الصبح، يوم أنثوي سخيف، ستذهب إلى نينتك بغدد "اللي هي مش نينتك" تلك البلانة التي ستمحو من جسد العروسة كل نابت وثابت، ومعها الأقارب والحبايب والستات حتى سن الأربعين، واللي

بعد السن ده وتعمل حاجة تبقى حكايتها على لسان النسوة اللاتي قطعن أيدهن.

يخلص اليوم الملزق ليكون في الغد يوم الزواج، الثانية عشر ظهرًا تُعلق الكهارب والميكروفونات وتسمع البيان الأول للفرح..

واحد.. اتنين.. تلاتة.. خمسة..

معكم كهارب أولاد المسارع، اليوم فرح بنت المعلم فلان الفلاني والدعوة عامة للجميع والعاقبة عندكم في المسرات..

هنا يبدأ البث المباشر عبر الأسطوانات، ربع ساعة قرآن كريم، وبعدها الأغاني، وغالبًا تبدأ بعايدة الشاعر كايده العُزال أنا من يومي إيوه.. آه..

وأبويا قال لي يا مديحة متلعبيش في التسريحة

وأبويا قال لي يا لواحظ متقبليش ابن أبو حافظ

وأنا من يومي..

كايدة العُزال أنا من يومي..

وتتوالى الأغاني..

وكل وقت ليس بالقليل تتوقف الأغاني لأخبار من لم يسمع بيان الفرح رقم واحد..

هنا أبناء المسارع..

فرح بنت الحاج فلان الفلاني..

والعاقبة عندكم في المسرات..

ويبدأ الناس في التوافد على العصر، واللي جاي يفوت يعطي فلوس للإذاعة فيقطع الإرسال الغنائي وينادى في الميكروفون..

أول وتاني وتالت ورابع..

الحاج فلان بيهني ويبارك.. وألف ألف مبروك.. وتترد في المسرات..

الميكروفون أحد أسباب الصداع في هذا اليوم، طبعًا أهل العريس عاملين أكل، وأهل العروسة عاملين أكل وغالبًا الفرح بيكون عند أهل العريس.

عند آذان العصر يبدأ عمل الكوشة، والكوشة تمثل في رمزيتها الثالوث المقدس "المرسح" المسرح وجريد النخل والإضاءة، وطبعُا الخلفية ممكن تكون ملاية سرير حالتها ممتازة ولونها من النوع اللامع.

لم يكن الكوافير قد ظهر بعد لكن نينتي بغدد -وكل نساء البلد نينتي- قد أعدت العروس وزينتها كما يجب، تلبس العروس الفستان ويلبس العريس بدلة الفرح..

نعم بدله الفرح.. حاجة كده زي فكرة بدلة الجيش، الفرح له بدلة تتلبس ثم لا تُلبس مرة أخرى.. من بكرة هنرجع للجلابية تاني.

بيت العريس والعروس صاخب بالفرح، النساء مجتمعات، والأغاني لا تنقطع، والدربوكة لازم تنشد على النار علشان تعمل صوت واضح..

الأغاني مجهولة الهوية تبدأ من يا اللي على الترعة حود على المالح، وتمتد الأغنية إلى مناطق جسدية تضطر أحد السيدات إلى وقف المغنية الكارثية التي قد تغني كلمات شبه خارجة، وبعدها تنحرف الكلمات إلى أغنية وأنا ماشية في شارع شريف قابلت شاب لطيف وقالي إركبي..

ويرد الكورال لا مركبشي.. وتكمل المطربة وحياتي تركبي.. ويكمل الكورال لا مركبشي، ثم تقول طبعًا وركبت معاه.. خدته على قد هواه وعند بيته قالي يا حياتي إطلعي.. والكورال يرد لا مطلعشي.. ويظل الاستدراج والموافقة طبعًا وطلعت معاه.. وخدته على قد هواه

وحاجة كده تفكرك بأغنية دخل الحرامي وأنا نايمة شوف قلة أدبه.. وأنا عاملة نفسي نايمة..

صيحة تتعالى بعد آذان المغرب.. المأذووون وصاااال..

يدخل الحاج أبو راجح، رجل عليه من الوقار والهدوء الكثير، هو اللي جوز البلد كلها من أكبر كبير لأصغر صغير، وتُنصب القعدة، ويسأل مين وكيل العروسة؟

وغالبًا ما يكون أبوها.. ثم أين الشهود؟ ثم البطايق، ثم يأمر رجلان أن يأتياه بالموافقة عن لسان العروسة، فيرفع أحدهما صوته قائلًا "يا ساتر" إيذانا منه بالاقتراب من مكان النساء فيكون الرد زغروطة حلوة رنت في بيتنا، يسأل الرجلان العروسة عن قبولها بالموافقة

من العريس فتهز رأسها بالإيجاب ومعاهم شوية هطل خاصة لو كانت مازالت صغيرة السن..

ينزل الرجلان ليخبرا المأذون وتبدأ الكتابة..

حالة من الصمت في حضرة المأذون، وإشارة بخفض أي صوت، وإيقاف كل غناء خارجي كان في مكان الكوشة أو عائلي داخل المنزل، يضع العريس يده في يد أبو العروسة أو خالها أو أخوها، وتبدأ المراسم وعند آخر الكلمات يخطف أحد الحضور المنديل الذي يغطي يدي المتفقين، ثم حتة من هيستريا الزغاريط، لتستكمل الأغاني من حيث توقفت..

ويا اللي على الترعة.. لف قابلني على المالح..

لحظات ويأخذ العريس العروسة إلى الكوشة، والعيال من كل حدب وصوب، والزحمة تكرهك في الأفراح وحرارة اللمبات ووخز جريد النخل، والعيال اللي أمهم رمتهم تحت رجلين العروسة، والراقصة اللولبية اللي طالعة تحيي العرايس، وبعدين تتعاكس آخر ست شهور بسبب الرقص.

وفجأة وبلا أي مقدمات يقوم رجل بخطف العروسة على كتفه وطالع بيها جري على بيت العريس علشان متخطيش عمل يكون معمول لها..

في زمن لم أحضره كان العريس يركب فرس ويطلع يجري عند ساقية البوطنة أو ساقية أبو رجب والبلد تجري وراه علشان ترجعه للعروسة.

ما أن تصل العروسة إلى بيت العريس محمولة على كتف رجل ضخم الجثة عريض المنكبين والذي إن سقطت من على كتفه فكل الإسعافات الممكنة لن تلحم كسورها..

أمام بيت العريس يتلقفها العريس من حامل المسك هذا لتجد أم العريس واقفة قاطعة الطريق، فتضطر العروسة الجديدة أن تنحني حتى تعبر من تحت زراع حماتها قال إيه "لازم تبقى تحت طوعها".

وبعد كده مينفعش نكمل علشان عيب..

(٣٦)

أحزان بلدنا

الموت في بلدنا برنامج تاني خالص، الموت له طقوس صعب أنها تتنسي، الأول لازم سن الميت وظروفه الحياتية، لا وسبب موته كل واحدة من الحاجات دي بتحدد رد فعل الناس اللي رايحة تعزي.

الأطفال الرضع قصة مش طويلة الألم، مش بس كده لكن هناك حكايات قديمة رأيتها وكنت آنذاك ابن ست سنين، الطفل اللي بيحتضر بيحصل له درجة جفاف وتخلي عنيه غائرة لدرجة إن شكل الطفل بتغير لكن كان التفسير إيه!!

إنه إتبدل..

إتبدل دي معناها إن قرين الطفل هو اللي موجود، وأنا أعتقد إن ده كان هروب من حجم الوجع، وكأنهم بيقولوا لنفسهم إن اللي هيموت ده مش الطفل الحقيقي.

الشباب آلامها حارة جدًا، وكلما كان وحيد أهله كانت الكارثة أعظم..

في بلدنا اللون الرسمي للحداد هو الأسود، وأي لون تاني جريمة حتى لو أزرق غامق.

بعد أن تُعلن الوفاة الأرض تتفرش قش، العيال الصغيرة تلعب عليه وتتنطط، والعيال الملزقة ما دون الخامسة عشرة تفرض على الصغار قوانين لأن الكبار مشغولين.

يقام عند البيت شيء من عزاء، كام لمبة نور وكام كرسي، لكن العزاء الكبير في أول البلد، وحسب إنت مين؟، صيوانك هيكون شكله إيه؟، ومين المقرئ اللي هييجي؟.

في بيت المتوفي يُعلن السواد، تجلس صاحبات البيت وهاتك يا صوات لحد صوتهم ما يروح، ودي علامة جودة في تقدير الناس، كل شوية تدخل امرأة أو مجموعة نساء وتكون تحية أهل البيت إن اللي جاي أول ما يبقي في مرمى بصر أهل البيت يبدأ يصوت ويرد عليه أهل البيت التحية بالمثل..

زمان كانوا يأجروا من بلد اسمها رأس الخليج واحدة بتشتغل "ندابة" يعني هي الغراب العازف ومن خلفها كورال من النساء، ويتحط زهرة زرقا (النيلة) في طشط والكل يدهن وشه نيلة، وهاتك يا لطم وأحيانا تقطيع هدوم، وأحيانًا حالة تشبه الذكر بتاع المولد واللي فيها صحة تقول راكبها ٥٠٠ عفريت.. ثم حالات أقرب إلى الهيستيريا منها إلى الحقيقة -والشيخ الباتع يسرج نفسه.

النساء الحاضرات يركزوا قوي على مرات الميت، خاصة لو كانت لسه في سن الصلاحية، وآه لو أخو الميت دخل سألها على أي حاجة ياكش يكون بيقول لها الكفن فين؟

هنا تتهامس النساء إنه عينه عليها وعايز يتجوزها، ومرات العريس يركبها العفاريت، وفي الآخر غالبًا بيتجوزها علشان ولاد أخوه ما يربيهومش راجل غريب.

من نظام بلدنا إن إكرام الميت دفنه واجري بسرعة هات المِغَسل أو المِغَسلة، ولو كان الدنيا ليل يبقى هات كلوب من عند أبوك وهبة وكلوب من عند محمد الحداد، وتبقى جنازة الليل طابور كلوبات أكتر منها جنازة، وتقول النساء العجائز بلاش الليل أحسن ينجعز (يخاف يعني) وأنا معرفش الميت عنده هناك ليل ونهار ولا الحكاية عالم تاني.

بعد الغُسل نطلع على جامع وسط البلد حيث يُنادي الشيخ حامد أن كل من عليها فان ونصلي صلاة الجنازة، ثم يُحمل الشخص على الأكتاف لمسافة تقترب من كيلو متر تقريبًا.

طبعا فيه جنازات كان لها طابع خاص أشهرها جنازة من يُرجى منهم الكرامات وإنه لازم يطير، وعليه يحط مطرح ما يحط، وساعتها يتبني عليه مقام ونقول عليه شيخ ويبقى له مولد. والله حي.. مداااااااد.

وأنا حضرت بشخصي ثلاث حالات فشلت منهم إثنتان، أما الثالث فقد نجحت الخطة وطار الشيخ من بلدنا للبلد المجاور لأن مكانش عندهم شيخ ولا مقام ولا مولد لكن الحمد لله فريق الطيران بتاع بلدنا سلمه لفريق الطيران بتاعهم وتمت المسألة بأمان.

يعود الناس إلى بيوتهم وكل بيت في اليوم ده طابخ علشان فيه ضيوف من البلاد المجاورة لينا، وطبعًا بعد الدفن كل واحد مننا ياخد شوية ضيوف ويعمل معاهم الواجب.

قبل آذان المغرب تبدأ قراءة القرآن وكلٌ حسب حجم عائلته ومقامه الإجتماعي أو السياسي، أو حب أهل البلد له، أو كارثة الموت المفاجئ.

يبدأ المقرئ بآيات الذكر الحكيم وفيه دايمًا راجل أو اتنين من نوعية من تاني يا عم الشيخ يستمتعون بالقراءة حتى أنهم يشغلون الناس عن حلاوة القراءة بتعليقاتهم.

وحتى أن أحدهم بعد ثلاث مرات "الله الله يا عم الشيخ" وقف في وسط الصيوان يقول عليا الطلاق ما إنت مكمل حرام عليك يا شيخ، احنا لحم ودم "قاصدًا أن حلاوة القراءة ودرجة تأثره به أصبحت غير محتملة".

تالت يوم في الموت -اسمه التالت- لازم الستات تروح المقابر ومعاها "الرحمة" اللي هي قرص وفاكهة وتوزيعها رحمة ونور على روح المرحوم، ثم تبدأ فكرة زيارة المقابر كل خميس، وبرضه فيه رحمة حتى يوم الأربعين، ومن بعدها تكون الزيارات كل جمعة برحمة مادية لا عينية، والمشايخ البسطاء يقرأون على القبر غالبًا سورتي ياسين والمُلك -وهذا أمر شرحه يطول.

من لحظة إعلان الموت عيب نفتح راديو أو تلفزيون، عيب حد يفرح وجيرانا عندهم حالة وفاة، اللون الأسود يتلبس سنة وممكن يمتد باقي العمر لو كان الميت زوجًا والزوجة متقدمة في العمر.

إنما الست لما بتموت جوزها بيدور على عروسة في اللي جايين يعزوا..

ممنوع أي مظهر من مظاهر الفرح، لكن اللي كان غريب إن حتى بَلّ الترمس عيب..

(٣٧)

المواسم في بلدنا

الود المفقود

كتير بنسأل نفسنا سؤالين هي الدنيا إتقلت بركتها ولا الناس اللي بقت قاسية؟ والفرحة القديمة راحت فين؟!

كانت المواسم جزء من التواصل والتراحم الاجتماعي زمان أيام البساطة والبركة وقلة الفلوس، كان الناس جواها الخير ومطمئنة للي عند ربنا وبتعطي رغم قلة المال اللي في إيديها، كان الناس أفقر ماديًا أكثر من الوقت الحالي لكن كانوا أغنى في العطاء أكثر بكثير من الآن.

كانت المواسم صلة أرحام فعلية، تصالح وود وحب ورحمة وشفقة وعطف وإصلاح بين الناس.

موسم يروح فيها اللحمة للعمات وأحيانا الخالات وللأعمام الصغار أحيانًا، وللقريبات من كل ذات رحم وفيه موسم رز وقمح حاجة تسند الحياة، وموسم دخلة رمضان.

كانت المواسم مناسبات إسلامية تُؤلَف فيها القلوب لبعضها البعض ويتعاون الجميع بشكل أو آخر.

كم هو جميل عندما تستيقظ أمي في الصباح وتخبرني أن أذهب إلى عم وهبه حواس علشان أجيب المكرونة، والراجل جاب اللبن الصبح علشان هنعمل مكرونة باللبن، إنه يوم العيد وأي عيد!!

وأنا أجري بفردة شبشب واحدة تصرخ أمي متنساش تجيب بانيليا معاك (فانيليا) لكنها تبدلت حين وصلت قريتنا، وبفردة الشبشب الواحد أجيب المكرونة والبانيليا، وتصرخ أمي نسيت النشا يا خايب، وأنا أرد الصراخ بمثله مخافة أن تبدأ عمل المكرونة في غيبتي:

- منيش رايح.. إيمان تروح..

إيمان أختي التي تكبرني، قاعدة جنب أمها معززة مُكرمة وتضحك - لتزيدني غيظًا، وربما قالت:

- عيب عليك وإنت راجل!!

تلك الجملة التي سيعقبها حدفها بفردة الشبشب الوحيدة التي ألبسها، وربما أجري حافيًا لدكان عمي وهبه لأعود بالنشا، وإذا بالماء الساخن على الوابور وأمي بتقلب المكرونة في حلة ضخمة، وأنا أصرخ إني هاخد الحلة منهم علشان بقايا المكرونة الساخنة فيها.

وطبعا خناقة صوت المعالق في قعر الحلة وشكلي وأنا على وجهي المكرونة مُفزع..

السمن البلدي يوضع في (اللحوقي) الصواني ثم تُملأ بالمكرونة وبعض من الزبيب وتدخل الفرن، وتنتشر الروائح التي تجنن عصافير البطن، لتخرج بعد قليل وقد أخذت لونها الذهبي الذي يُذهب بالعقل.

ثم يأتي دوري في التوزيع، روح ودي دي لعمتك فتحية، تلك العمة الرائعة في صناعة الحلويات، والتي لن تذهب زيارتي لها أبدًا سُدى، أنادي عليها من أول الشارع "يا عمة فتحية" وكأنني أخبر الدنيا إن احنا جايبين لها مكرونة، تلك التي ستعود لنا بعد يومين مليانة لبنية حلوى لا يعرفها أهل المدينة.

عمتي كانت زوجة خالي، وهو يرسل هو الآخر لوهيبة أمي كما أرسل أبي لفتحية أخته، وهي لن تتركني أمشي قبل أن ترزقني بدعاء لي ولأبي يشق عنان السماء بالرزق والستر وراحة البال، ناهيك عن راحة البال اللحظية بشلن أو شوية كرملة أو اي حاجة حلوة موجودة تملأ بها جيوبي.

الله على تلك الأيام..

اعملوا مواسم لإخواتكم ولقرايبكم تاني، هاتوا حلاوة المولد ورجب ورمضان، زوروا بعض في الأعياد، فالرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض.. وبما أنفقوا.

نسيت أقول لكل راجل فينا..

إنت بتورث ضعف أختك علشان إنت مسؤول عن أختك وعماتك وخالاتك وأرحامك..

بروا.. تبروا.

(٣٨)

الختان في بلدنا

الذكور أولًا

علشان نوصل لفهم ما حدث هابدأ من زمان..

الختان في الريف المصري كان القائم به حلاق صحة أو تومرجي، والقصة دايمًا بتكون يوم الجمعة، هكذا كانت كل القصص المؤلمة.

الأولاد وعند سن دخول المدارس غالبًا تقوم الصبح تلاقي أمك واخده بالها منك بزيادة، تحميك وتصر إنك تلبس جلابية وبتكون بيضاء، وساعات يلبسوك طاقية.

وتروح تصلي الجمعة مع أبوك وأنت سعيد سعادة خروف العيد، وترجع تلاقي في البيت ستات كتير، وتلاقي عبد الرزاق المنزلاوي ذلك الرجل الذي كسر عيون جميع الشباب فيما بعد لما ذكرهم بقطع ما قُطع.

البيت هيصة والستات كتير، والعبيط الوحيد في الليلة هو هذا الطفل المسكين، الأب ينزل من البيت بعد أن يسلم الضحية إلى الجلاد، تقوم امرأة من نوع خاص بنزع الملابس الداخلية للطفل في حركة تشبه التحرش غالبًا يتبعها قلم على وشها من الطفل لو متربي، لكن لو مش متربي تسمع سيمفونية سباب من النوع الأصلي.

لكن تكتمل الخضة بأن تحمله وهي جالسة على كرسي وهو فرخ أخضر في حالة من الهلع وتقوم بتثبيته على فخذيها في وضع اغتصاب الضفدعة..

يكون عبد الرزاق جالس على الأرض ومعه ورقة جرنال ملفوفة فيها آلات لا تختلف كثيرًا عن تلك التي يمارس بها سلخ الشياة، ومع محاولة الفلفصة تنال هذه المرأة أول قلم من عبد الرزاق ثم يعقبها بقوله:

- امسكيه كويس يا بنت الكلب ليتعور.

ومع مسك الجلدة الزائدة بآلة حادة ودون أي مخدر، تطغى الصرخات والألم والخوف وفقدان الوعي، آلة حادة تضغط على جزء حي، ثم سكين أو مطواة قرن غزال حامية تقطع هذا الحي، ليزيد غياب الوعي، وينزل الدم ثم تكون قطرات من صبغة اليود الحارقة على شاشة مربوطة حول ما تم ذبحه..

وتفيق على زغرودة ومباركات غالبها مبروك الإيمان؛ إذ أنها سنة المرسلين منذ إبراهيم الخليل -عليه السلام- واللي عنده فلوس يجيبها أحسن نفضحه..

وأمي توزع الشيكولاتة على الناس، وأنا أجد نفسي فجأة على السرير وعظم حوضي واجعني، وما زال إلى اليوم يؤلمني.. تقريبًا المفصل إتخلع في إيد منيرة مساعدة عبد الرزاق..

وأمي تقول لي إوعى تتحرك أحسن تنزف، ويظهر أبي لكن لا تقع عينه في عيني لمدة يومين، وأنا ماشي بالجلابية البيضا بالوصف المصري.

ولما نتصالح بعد يومين يبدأ كلامه بكلمة "إنت كبرت خلاص وبقيت راجل"، أسعد بنفسي بشدة، ثم يكمل باسمًا:

- عايزين نشوف لك عروسة علشان نجوزك وأنا أقول في نفسي:

- احنا فيها أهه وخير البر عاجله ويبقى طهور وجواز..

(٣٩)

ختان المرأة بين التقاليد والعلم والدين

وما كان يحدث في بلدنا

المرأة عبر التاريخ هي نقطة ضعف الرجل، هي الإيد اللي ممكن يتوجع منها، وهي الجانب العاطفي في الحياة، والفساد الأخلاقي عند المرأة سقفه جريمة الزنا.

وعليه كان الفكر الإنساني الخالي من الصواب هو إغلاق فرصة الزنا بأمرين كلاهما جريمة، وهما قتل رغبتها في ممارسة الفعل، أو إغلاق مكان ممارسة الفعل نفسه، وكان أشر منهما وأد البنات قبل الإسلام.

الختان الأفريقي أو الفرعوني وقد رأيت منه حالات -بحكم طبيعة عملي حتى العام المنتهية ولايته ٢٠٢٠ فإن المنطقة التناسلية للمرأة يقوم شخص بقطع أماكن الإحساس عندها، ويزيد الطين بلة أن يقوم بإغلاقها ولا يترك إلا ثقب صغير لحاجات الحياة من بول وحيض.

- العلم والختان..

ظهرت في السنوات الأخيرة كتب علمية خاصة بعلم التجميل تتحدث عن تجميل المنطقة التناسلية الخارجية للمرأة، وهي الأقرب إلى الوصف الإسلامي، فهي تتكلم عن الزوائد الغير مقبولة

شكلًا والتي تصنع بعض المشاكل في إقامة العلاقة الزوجية ناهيك عن النظافة الشخصية.

والدين والعلم يتكلمان عن الختان على أنه تجميل الشكل وليس كما يدعي من لا يعلم أنه لتقليل شهوة المرأة تلك التي تدفعها لفعل المنكرات، فإن اللاتي فعلن كل المنكرات كن مختتنات..

المنكر محله القلب والعقل وليس المنطقة التزاوجية، ومرورًا بتاريخ الختان عندنا في بلادنا، تقوم الأم بأخذ ابنتها غالبًا عند سن ما قبل البلوغ مباشرة، تقوم الصبح وتحميها وتتفق مع عمتها غالبًا -لكي يكون هناك شاهد من أهل الأب على الجريمة- أو خالتها، وتاخدها في ساعة العصرية والدنيا بقت طراوة وتروح بها عند داية معروفة بهذا الأداء..

توضع الفتاة كما الذكر فيما سبق -وضع الضفدعة إياه، وتقوم تلك المرأة بقطع ما لم يتكون بعد فيما ليس تجميلًا ولا إصلاحًا، ويكون في الأمر جزء من السرية والخجل والحياء، على غير ما يحدث في الذكور، ولا ما يحدث يوم الصبحية وقطعة القماش البيضاء المبللة بدماء الشرف تلك التي يراها الأهل وبعض من زغاريد مبهمة المصدر أو مجهولة الهوية.

وفي بعض البلاد توضع القماشة الغارقة في الدم على طرف حديدة الفرن وتجاب بها الشوارع، وتغني البائعات..

قولوا لأبوها إن كان جعان يتعشى..

قولوا لأبوها الدم بل الفرشة..

(٤٠)

الكورة في بلدنا

أنا حكايتي مع الكورة نفس حكايتي مع المريخ، أنا كنت رايح على الكُتاب راجع من الكُتاب معرفش إن فيه حاجة اسمها كورة أساسًا حتى سن ست سنين.

الأوامر العليا جت من إخواتي الكبار إني لازم أكون زملكاوي..

طب وأنا مالي يا لمبي!!!

في الطريق إلى معرفة الكورة أخذني أخويا عبد الرحمن -رحمه الله- معه إلى ملعب الوحدة المجمعة وفتح الشنطة ولبس شورت أخضر غامق، وكان بيلعب معاه مع حفظ ألقاب الجميع..

عبد الوهاب العدوي اللي اتجوز بنت خالتي

وحمادة عبد الحسيب ابن خالتي.

وحسين عبد الحسيب برضه ابن خالتي.

وعبد البارئ محمود.

ومدحت فوزي.

كان دوري في الماتش خطير لأني كنت متفرج لأول مرة تقريبًا وفرحان كأني كابتن الفريق.. الكورة في بلدنا كانت متنفس رائع وكانت فعلًا أخلاق واحترام..

كبرت شوية وحاولت ألعب كورة لكن طبعًا دا مستحيل..

أخويا لطفى اشترالي كورة فيما بعد، وما أدراك ما معنى أن تملك كورة، تفتكر على طول فيلم الحرب العالمية التالتة، صاحب الكورة لا بيعرف يلعب ولا يقف جون، ويفرض شروطه الوهمية إن ممنوع تشوط ببوز الجزمة اللي جاية من باتا، وتقسيم الفريق درب من البلطجة، يعني تختار كل اللي بيعرفوا يلعبوا كورة معاك.

كل ده وأنا مليش في الكورة..

كنت عيل رزل، مليش في الكورة نهائي وعايز ألعب.

قوانين اللعب كانت مرتبطة بالشارع، يعني كل مرمى معمول من طوبتين، وحارس المرمى بالتبادل يعني كل شوية حد يقف غصب عنه جون.

والحكم واحد ضميره تعبان جدًا متواطئ مع صاحب الكورة، ومفيش أوت ولا ضربات ركنية، وممكن نحسب الركنية بربع جون، دا غير البلنتيات الظلم اللي هي كده، من الآخر كانت كورة شبة السياسة؛ صاحب الكورة هو اللي كلمته ماشية..

قضيت ابتدائي كله خارج الملعب ولا حتى على دكة الاحتياطي، إعدادي كان لعب تاني خالص..

لا مش اللي في بالك..

برضه فشلت..

ولا حتى جون من باب إني أبطل زن، وكان محمد زرد صاحبي وزميلي وابن أختي -وهو كان كابتن كبير فى المدرسة- مُحرج يقولي أقعد في جنب إنت مالك ومال الكورة؟! وما يصحش كده..

كانت آخر المحاولات هي أولى ثانوي، وكان هناك سبب فظيع، أخويا محمد كان راجع من السعودية وجاب لي وهو جاي لبس فريق البرازيل، أنا فاكر الطقم كويس..

والطقم ده له حكاية..

فانلة صفرا كناري وشورت أزرق، والاتنين واسعين بزيادة، لكن الطقم في حد ذاته يجعلني نفسيًا مع رواد الكرة أمثال بيليه ومارادونا..

وهو اللاعب إيه أكتر من طقم أصلي!!

لبست طقم المعجزة لأول مرة في أولى ثانوي، وحذرني مدرس الألعاب الأستاذ عوض من كارثة أن يسقط الشورت أثناء اللعب لأن شكله واسع بزيادة وأنا نحيف بزيادة قوي، لكنني طمأنته وقضيت محاولة اللعب وأنا متشبث بالشورت..

ثم أقنعت نفسي يومها إني مش بتاع كورة..

وعملت لنفسي ماتش اعتزال داخلي حضرته مع نفسي، وحضر معي كل المشاهير من كرة القدم وعلى رأسهم حسن شحاته وفاروق جعفر وعادل المأمور لاعبي الزمالك، وحاولت أن أُحضر روح كابتن الخطيب معايا في ماتش الاعتزال لكن خفت أخويا محمد يعرف ويمكن يسحب مني تصريح الانتماء إلى عائلة النجار.

خلصت علاقتي الشخصية باللعب، لكن علاقتي بالكورة امتدت، البلد فيها فريق كورة حقيقي -مش بتوع الشورت الأزرق- كان فريق الكورة يتكون من الآتي أسماؤهم..

- استعنت بصديقي كابتن طارق الشربيني في تذكر الأسماء.

عبد الوهاب العدوي

حسين عبد الحسيب

عبد الباري محمود

مدحت فوزي

محمد حسن حمودة

بهجت الهجرسي

سامي ولي الله

محمد أحمد عبد الباري

محمد حمزة جمعة

لطفي حمودة

مجدي أمين

علي فهيم

فوزي عرفة

فهيم عسكر

ممدوح السقا

محمد الكفراوي

محمود عبد الباري حارس المرمي

حسن جابر

عبد الحي سماحة

ممدوح الحلفاوي الشهير بالشيخ فرح

طارق الشربيني

محمود عبد الجليل

شعبان الحلفاوي

وجيه العمري

مازلت أذكرهم جميعًا.. كانوا جيل محترم، الكورة كانت جزء جيد من حياتهم، كانت طاقة الشباب موجهة في الرياضة وأنا كان مثلي الأعلى في الكورة كابتن طارق الشربيني، هو أكبر مني بحوالي ثلاث سنوات، وله طلة رائعة في الكورة، وبيعرف يرَقص، وعنده حالة تصالح مع النفس ومش عايش فيها دور صالح سليم، يعني ممكن أكلمه في الكورة ويرد عليا عادي من غير ما يقولي "وإنت مالك!!".

ثم كان اليوم الأعظم في تاريخي الكروي، وكان قبل أن أعتزل مع نفسي في السر كان فيه ماتش نهائي، بلدنا بتعمل دورتين كورة كل سنة، دورة صيف ودورة رمضانية وفيها كأس وحركات كانت المباراة النهائية بين فريق شرباص وغالبًا فريق البراشية وكنت قاعد على السور اللي ورا المرمى بتاع فريقنا، وكنت طبعًا حاضر المباراة بقلبي

وجوارحي والفانلة الصفراء، وفجأة جاني كابتن طارق وقالي هات الفانلة دي بسرعة!

وطبعا حسيت إني رأفت الهجان ومصر بتناديني، والوطنية نقحت في دماغي، وأنا أصلًا مليش في الكورة..

قلعت الفانلة ولبسها كابتن طارق، وأنا طبعًا قاعد بالحمالات، كنت حاسس إني بلعب الماتش بالفانلة، وطبعًا روح بيليه مسيطرة على كابتن طارق، وطبعًا بما لا يدع مجالًا للشك انتصرنا لأن روح الفانلة غلبت.

وبعد الماتش كابتن طارق أعطاني الفانلة غرقانه من عرقه المقدس..

طيب أعمل إيه دلوقتي؟!

بعد ما ألف وراهم البلد وهما شايلين الكأس، هروح البيت إزاي بالفانلة الداخلية، وهذا أمر لم يحدث في التاريخ..

دا أنا لو أبويا شافني غالبًا هتتفتح التُرب انهاردة..

وكان الحل روحت من شارع خلفي صغير من عند بيت أبويا عبده أبو جمعة، ودخلت البيت على أطراف أصابعي بالفانلة الداخلية والبنطلون، لتلقاني أمي وهي في قمة الاستغراب، فرقصت بشدة علشان أتوهها وقلت وأنا ألعب بالفانلة المبلولة..

خدنا الكأس..

خدنا الكأس..

لأسمع صوت أقدام أبي فادخل بسرعة إلى الدولاب، وأخرج فانلة تانية لكن مش صفرا وألبسها..

وبرضه أبويا يبص ليا بصته الشهيرة تلك التي تقول:

- هي فين فانلتك يا معلم بيومي!!

(٤١)

الشتا في بلدنا

بمناسبة البرد اللي دخل علينا من غير إحم ولا دستور..

في طفولتنا واحنا بلدنا على النيل وريف وطبعًا الأرض طين مفيش أسفلت، المطر يعني حاجات كتير..

يعنى طينة الشوارع وأمي لما تقولي روح هات جاز من عند أبوك وهبة علشان أطبخ قبل أبوك ما ييجي.

البرد والمطر والملابس الثقيلة والأطراف الباردة، وصوت الوابور وعليه اللحمة، والوابور الثاني اللي عليه البطاطس، وعند فتح الغطاء فقاعات الهواء الخارجة تحمل رائحة الطعام، وعيني اللي هتخرج على الحلة وإصراري إني لازم أدوق البطاطس وهي لسه مستوتش.

وأمي تعض على أصبعها وتقول كلمتها الشهيرة..

"يا خايب دا أنا مخبيالك حاجة حلوة لما تيجي".

في الطريق إلى المحل عابر سبيل يصطاد العصافير، فأنسى حكاية أبويا وهبة وألف وراه البلد سُبعه، أو ذلك الشحات صاحب الأغنية الشهيرة..

يا بعيد عن عيني والقلب شايفك

إمته تديني بوسة من شفايفك

إمته هتجرب سهر الليالي

علشان تعذرني يا أبو قلب خالي..

ثم تكون العودة بعد ضياع النقود من غير جاز ولا يحزنون..

وهناك مشوار الطماطم من عند نينتك تحية -فالبلد كلها يُقال لرجالها أبويا فلان، ولنسائها نينتي فلانة- أدب ريفي بسيط لكنه رائع..

أرض القرية مليئة بالحفر تلك التي يملؤها الماء حين تُمطر، والنزول فيها جزء من رحلة السعادة مع شوية اللب أو حباية الكراملة من أبويا وهبه تُغنيك فى طريق العودة عن ميسون الكلبية..

المشاوير في الشتاء كانت خليط بين المتعة والعذاب، وغالبًا ما كانت تحتاج فرض إتاوة على أمي نظير كل مشوار منها.

البرق والرعد والعائدين من حقولهم، شعوري المؤلم أن البط والفراخ اللي على السطح محتاجين دفا ولو كان بإيدي كنت نزلتهم معايا في السرير، كنت أشعر بالبطات الصغيرات وهي تجري خلف أمها البطة الكبيرة وكأنهن أخواتي التوأم..

جدتي وجسدها يرتعد وتطلب مني شوية خشب تولعهم علشان تتدفى، وما أدراك ما هذه اللحظة!

هنا تقول أمي كل طلباتها لأنه بعد دفء النار لن أخرج ولو انشقت السماء والأرض.

دخان الخشب المشتعل، جدتي النحيلة ذات الفخود محلية الصنع الحمراء من حرارة الخشب وأنا بجانبها وكوب شاي تصنعه أمي لها بعد الغداء، وصوت ضجيج حبات الشاي العابر إلى فمها وسعادة من النوع الآدمي الأول.

دخول الليل رويدًا رويدًا، وصلاة المغرب والعشاء بالبيت لصعوبة الخروج في الظلام والمطر، لمبة الجاز نمرة أربعة، وبداية الخوف من حواديت البلد.

وربنا يستر وأبويا ميطلبش حاجة من خارج البيت؛ لأنه لا يمكن مناقشة طلبه، أولًا لأنه صاحب السلطان والصولجان وكرسي المَلِك وبعض من مُلك سليمان، لكن الأهم أن رفض الطلب يعني شعوري بالخوف، ويعني أنني لست من قبيلة الرجال، والموت كل الموت لو قيل لي "خليك جنب أمك دي حاجات رجالة" هنا يركبني عفريت عنترة ولا يشغلني إلا سؤالي لأبي:

- أنا كده راجل يا أبا؟ وتكون حسن الخاتمة قوله "إنت سيد الرجالة".

حدوتة يحكيها أبي أو يتبادل تفاصيلها مع جدتي أقرب ما تكون إلى حكايات ألف ليلة وليلة، أسقط خلالها في غياهب جُب يوسف لأستيقظ في الصباح على أحضان أمي وهي توقظني وتقول:

- نااااصر .. روح هات فول من عند عمك شطا..

تبًا لهذا الليل الذي سمح لهذا النهار أن يمحوه، المجد لهذا الليل الطويل والدفء وطعم الشاي وشوية اليوستفندي، والبطانية ذات الأخرام المجهولة التي كان معظمها من شرر النار..

المجد كل المجد للبنات اللاتي لا تخرجن إلى الشارع لأنه عيب وإنت راجل أختك إيمان ولا ماجدة تروح تجيب حاجة.. وتلك الابتسامات التي تجعلني شبه الفول السوداني على النار حين تؤكد إحداهن وأنا متغاظ "عيب عليك إنت راجل"

صوت الحلل في المطبخ يقلقني، الراجل جاب لبن للبيت الصبح وشكل أمي هتعمل مهلبية، سنتكم هباب لو عملتوها قبل ما آجي من عند شطا.. فبقايا المهلبية السُخنة في قعر الحلة حكاية تستحق بعض من حروب التتار..

(٤٢)

عفاريت بلدنا

العفاريت جزء رئيسي من الحكايات في بلدنا، تبدأ معرفتك بهم في سن مبكرة، ربما عند الثالثة أو الرابعة، يعني يدوب لسه هتخلص من إنك بتعمل على نفسك، ييجوا يحكولك اللي يخليك تعملها وبرضه على نفسك..

في هذه السن الأمهات عندهم رغبة عارمة في إنك تنام بدري، على الرغم من عنيك المفنجلة دي وكأنك شارب كوز قهوة..

هنا تبدأ حكايات الجن والعفاريت ويأتي دورها، لما يحبوا يحكوا حاجة تفرفش القعدة يبقى أبو رِجل مسلوخة والنداهة..

الحكايات تُحكى على أنها أحداث حدثت ويضاف إليها أشخاص في آخر الشارع، ويضاف إلى الكلمات إنه لما قابل الجِنية لقى عنيها "بتسرج" نور، وعنين الجِنية مشقوقة بالطول مش زي عيوننا بالعرض، ليتوقف نمونا عند ذِكر هذه الأحداث، ويصبح الليل بظلامه هو الخوف متجسدًا بذاته.

نكبر قليلًا ومعنا رصيد لا بأس به من الخوف، فإذا ما جَنَّ الليل فالذاكرة مهيأة لكل الأفكار، بل إن الخوف قد يظهر لك مخاوفك مجسمة..

وطبعًا لا يخلو الذكر من اختيار بيوت مهجورة في مناطق متعددة من القرية، ليحكي أن البيت ده إتقتل فيه واحد، ليكتمل سرد قصة القتل المُخيفة في ذاتها، إذ أن أحدهم رفص أخته والرفصة أصابت قلبها فماتت وقالت له وهي بتموت ومش فاضية إنها تصرخ "قتلتني يا أخويا!!".

ثم يُصب زيت الحوار على نار الحدث، ويقال ومن يومها وهو كده، ويكون الحديث عن واحد من المجاذيب مثلًا.

ليأتي ذِكر ذلك الذي خطفه المجرمين لظنهم أنه غني، ولما هموا بقتله سألوه من باب الشهامة "تحب تموت إزاي؟"

وهو يتحايل عليهم ويبوس إيديهم ورجليهم ليعفون عنه، ليقول أحدهم "عرف سرنا والموت عليه حق".

لكن السرد ينقصه جملة، وأنتم عرفتم منين الحكاية والراجل اتقتل ولقيتوا رأسه عند رأس الخليج لتكتمل الحبكة، إن لهم جارة سمعت الحكاية بس خافت تحكي..

أومال لما هي خافت تحكي مين اللي حكى؟

متبقاش موسوس احنا في رحلة..

ونكبر وتكبر معنا حكايات الجن فيُحكى لنا أن فلان اللي عنده جميزة باسمه متجوز جنية طلعت له من البحر واترمت تحت رجليه وقالت له "أنا بحبك يا عبده".

القصة لا تقف عند هذا فالجن هم صانعي معظم التاريخ الريفي، أحدهن يخرج لها جني من البحر -اللي هو النيل- فيعمل خادمًا لها، ويعلمها السحر وما أُنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت، وتحمل السيدة اسم العفريت ويأتيها الناس من كل حدب وصوب..

العفاريت تصنع المستحيل، ترد الغايب وتفك المربوط، وتجلب الحبيب، وكل حاجة ملهاش تفسير تبقى عمل ولازم يتحل..

الجن استهلكت جزء ليس بالهين من تاريخ القرية وطبعًا كان هناك أكتر من شخص واخد توكيل التعامل مع الجناني.. فلان ده شوف بصة عنيه تلاقيها تخوف دا كان كل يوم يحضر العفاريت على ردة ويحرقهم..

العفاريت تسكت!! مستحيل طبعًا..

طب العفاريت تعمل إيه؟

تقتل عياله طبعًا.. لحد ما أبوه عمل قعدة صلح بينه وبين العفاريت وحلفوه على كتاب الله ما يعمل كده تاني، والحمد لله من بعدها عياله ما اتقتلوش..

وطبعًا عَد النجوم وركوب حديدة الفرن.. فتقسم امرأة أنها رأت امرأة أخرى تركب سيخًا من حديد نسميه "حديدة الفرن" -نظرًا لاستخدامه في إخراج الخبز من الفرن- تقسم أنها رأتها تركبها وتطير في الهواء.

والأعمال جزء ثابت فى التاريخ ومن تلبسها الجريمة تتجنبها كل النساء حتى لا تصنع لبناتهن أعمالًا، وبينما هم بعيدين عنها يقولون

دي بتعمل أعمال سفلي عند فلان، وفلان ده لازم يكون من بلد بعيدة؛ لأن الشيخ البعيد سره باتع..

وحكاية سُفلي تعني أنها تمارس معه الرزيلة، وبكده يبقى العمل سُفلي وسافل..

ثم يُحكى أن فلانًا صادف عفريتًا وكان العفريت عامل نفسه حمار، وهوبا وفي لمح البصر يركب الرجل على العفريت ثم يغرس في ظهره مسلة تُبقيه على حاله طول الليل، حيث يجول به حتى صلاة الفجر ومع أول الله أكبر يخلع المسلة فيعود العفريت لحالته العفريتية، لتقول في سرك "دا فعلًا عفريت حمار"

ثم تكتمل الصورة بالحشيش.. ذلك المخدر النباتي الذي يبيعه رجلان في القرية، أحدهما ابن القرية الأصيل، والآخر ضيف يأتي من "البراشية" القرية المجاورة لقريتنا تمامًا -وللحشيش حلقة خاصة- لكن شرب الحشيش يصنع في كتب العلم هلاوس الزمن والمسافات لكنه كان فى بلدنا نوعًا ليس بعظيم، ذلك الذي يجعل رجلًا يحكي أنه وهو عائد من سهرة بعزبة النيل في مدخل بلدنا يلاقي تحت الجميزة فرح معمول الساعة اتنين الفجر حيث لا سكان أصلًا، فيأخذه حُب الاستطلاع فينزل إليهم في الشط يسألهم فرح مين ده؟

لكنه يسبق الكلام بإلقاء السلام، هنا يقول كبير القوم من الجان "لولا سلامك سبق كلامك لكنت أكلت لحمك قبل عظامك".

ثم يصرخ قائلًا:

- أقيموا الأفراح واحتفلوا بأبو صلاح..

(٤٣)

حدوتة يا ريتها ما اتحكت

أُمنا.. الغولة

واحنا صغيرين والريف ضلمة زي كل الوطن لما الليل يدخل يحكوا لنا حواديت علشان ننام، مفروض نسمع كلام حلو وطيب، أو حتى حدوته.. أي حدوته شكلها بريء..

لا لا لا..

وتنام وأنت شعرك على خدك والمخدة مريحة، ونومًا هانئًا وأحلامًا سعيدة؟؟!

الكلام ده للعيال التوتو.. إنما احنا يتحكى لينا حكايات أُمنا الغولة.. أي والله ذي ما بقولك كده!!

تسألني إزاي يتقال على الغولة "أُمنا"؟!

إنه تعليم النفاق المبكر والخوف والجبن والانبطاح حتى للتي لا يمكن أن تكون أُمنا.. الغولة.

وحكاية أبو رجل مسلوخة، وخيال وصف رجله التي تسيل دمًا وصديدًا، ولا تتعاطف مع رجله المسلوخة بل تخافه وتكرهه

وتبتعد عنه، ذلك الذي يربي في النفس قراءة مريضة لهذا الأبو رجل مسلوخة أو محروقة..

والنداهة وحجم الخوف الذى يمنعك من الذهاب للحمام لأن حجم الوصف الذي سمعته أعتى من أن تواجهه بالذهاب إلى الحمام وحدك..

وغالبًا هتعملها على نفسك بعد النوم من حجم الخوف وتُعير في الصباح بالفضيحة الكبرى..

ولو كنت من بيت رخيص ربما صارت من أسمائك حتى سن الزواج فيطلق عليك أبو .... حاجة على وزن أبو فروة وأبو طاقية، وأي أبو تخطر على بالك..

وفي أفضل الحالات تكون الحكايات عن ألف ليلة وليلة، الله على الكلام دا وحلاوته!!

لا إهدى يا عم الأمير.. هنسيب كل ألف ليلة وليلة ونحكي منها حكاية الجن وأعمالهم واللي إنت لسه سامع إمبارح، حكاية عم فلان اللي قابل عفريت على البحر راح غارز المسلة في ضهره وفضل راكبه لغاية أذان الفجر وبعدها سابه لحال سبيله..

إن حكاية الجن هذه كانت تُولد في النفس حالة من الخوف يصعب تخيلها، وكلما كنت شديد الإنصات وكنت متوهج الخيال فحدث ولا حرج، إنك مرشح أن تكون ضيفًا مع العفاريت في زيارتك لأي مكان مظلم..

(٤٤)

الحشيش والإيمان

وبعض من الأفيون

بلدنا تقع على النيل فرع دمياط في شرقه، بينما تقع على الجهة الغربية قرية ميت أبو غالب ومعها كفر ميت أبو غالب، البلد تبعد عن الطريق الرئيسي قرابة كيلو متر تسبقها عزبة النيل، بجوارها البراشية من ناحية وكفر الشناوي من ناحية أخرى.

البلد لها تاريخ أخلاقي مع المخدرات..

فالمخدرات في بلدنا ليس لها سمعة سيئة ولا تُشرب من باب الرغبة في إن الناس تتسطل، ولو سهرة الحشيش طولت للفجر الناس تروح تصلي قبل متروح عادي..

حاجة كده شبه والله ما أنا دي أُختشي منى..

قهاوي البلد لا تسمح بالحشيش نهارًا علشان سُمعة القهوة زي عود الكبريت، لكن لما البلد كلها تنام من العشاء هنا يسير الشيطان في طرقات القرية يطمئن إن اللي ناموا ناموا وإن أهل الليل صحيوا..

تجار الحشيش قِلة وهذا أمر يشكروا عليه، وأخذ توكيل الصنف تاجر واحد هو عم أبو خليل -ووصفه بالعم من باب الأدب من الصغار- أما الكبار فكانوا يلقبونه بالمعلم احترامًا لدوره العظيم في التاريخ.

البسطاء الذين لا يعرفون له صنعه كانوا يلقبونه الحاج أبو خليل نظرًا لما هو عليه من التقوى وزبيبة الصلاة وصلاة الفجر جماعة.

هناك تاجر احتياطي يأتي من البراشية القرية المجاورة لنا اسمه عم عبده، وكان قليل الورع عن عم أبو خليل -يمكن علشان غريب- واحنا دايمًا مع ابن بلدنا على الغريب.

مخدرات البلد هي الحشيش أساسًا، لكن الأفيون كان حاجة فرايحي زي ما تقول كده مُسكن، وممكن عادي أي ست ضرسها واجعها تبعت ابنها يشحت لها حتة أفيون صغيرة تحطها تحت ضرسها مع كوباية شاي حاجة تشيل الوجع وتعمل أحسن دماغ، ويمكن تفضل نايمة فيها أسبوع.

عم أبو خليل كان راجل أمير، قصير القامة، منحوت الوجه، أسود شعر الحاجبين، اللي عرفت بعد كده إن الحشيش هو السبب.

قليل الكلام جدًا في سيالة الجلابية اليمين مطواة قرن غزال وباكو شاي تموين محطوط جواه حتة حشيش ملفوفة في ورق سولوفان.

الحشيش أغمق شوية من العجوة، والمعلم أبو خليل عنده ضمير في وزن الحشيش حتى لو اللي بيشتري هياخد تعميرة واحدة.

"كله إلا الوزن، دا ربنا ممكن يخسف بيا الأرض لو غشيت في الميزان" هكذا تكلم المعلم إبراهيم مع زبون لَمّح أن الربع قرش اللي فات كان ناقص شويه، زعل المعلم أبو خليل جدًا وقال مستحيل كله إلا الوزن.. دا ربنا ذكره في القرآن وقال "ويلٌ للمطففين"

وعشان ميبقاش خالف السورة يزود حتة في وزنة المرة دي ويقول له مرضي يا سيدي؟

ويرد المشتري ربنا يخليك لينا ومنتحرمش منك أبدًا يا أمير يا ابن الأمراء.. تحس كده إنه كان بيبيع له كيلو لحمة علشان الولاد يكلوها.

عم عبده بتاع البراشية، كان اللاعب الاحتياطي اللي قاعد على الدكة، لكن برضه كان له وقفات مشرفة خاصة في الأعياد والأفراح.

مفيش مانع وإنت في دكان عبد العاطي يدخل المعلم أبو خليل ويشيل الكفتين من الميزان ويحط في ناحية قرش معدن وفي الناحية التانية حشيش.. ومن يوم ما شفته عرفت يعني إيه قرش حشيش!

محضرتش قعدات حشيش لكن عندي توقعات لها، قهاوي البلد محدودة وكل قهوة لها سمعتها اللي بتحافظ عليها، لكن مفيش مانع في آخر اليوم حجرين تلاتة حشيش والكل يمشي مبسوط.

ومن أغرب أحداث حشيش بلدنا إن الحاج أبو خليل لاحظ أن عبده بتاع البراشية سوقه ماشي في البلد، قوم علشان يضايقه راح باع حشيش في البراشية، وهنا حصلت أزمة كبيرة في حشيش البلد، وموقف البلد بقى صعب وسط البلاد المجاورة..

يعني مينفعش بلد زي بلدنا يبقى عندها نقص في المواد التحشيشية..

جزار كبير من أهل البلد مشي في البلد يزعق والناس ماشية وراه.. وخير يا حاج محمود!!

وكل شوية الناس تزيد لحد ما وصلوا لبيت المعلم أبو خليل وصرخ الحاج محمود صرخته الشهيرة التي تُذكرك بوقفة عرابي أمام الملك، وقال والناس تردد من خلفه..

الحشيش حشيشنا.. ولا حد يشاركنا..

يا حشيشنا يا بلاش.. صنف تاني ميلزمناش والحشيش بتاعنا.. ولا حد هيمنعنا..

ثم قال كلمته العظيمة المكتوبة بحروف من أفيون في سجل التاريخ "حشيش البلد للبلد يا ناس" وطالب الناس المعلم أبو خليل بالنزول من بيته إلى الحشود الغفيرة، في هذه اللحظة مر شيخ الجامع ليوقفه الحاج محمود ويقول له:

- اشهد يا سيدنا على المعلم أبو خليل -وجاءوا بكتاب الله أقسم عليه المعلم - إنه ما يبيع حشيش غير لأهل البلد، أهله وناسه، واللي تحتاجه شرياص يحرم على البراشية..

ويا حشيشنا يا بلاش.. صنف تاني ميلزمناش.

(٤٥)

مولد بلدنا

لكل بلد شيخ يستطب به أقرب ما يكون إلى علم هذا البلد، وكل المشايخ بيبقى لهم كرامات لكن بعد الموت وهذه الكرامات خليط بين أشياء سيأتي ذكرها.

احنا في بلدنا الشيخ أبو خليل الشرباصي، وأبو خليل كنيته عن إبراهيم، وأما الشرباصي فنسبة إلى اسم قريتنا شرباص، رجل مجهول التاريخ قيل أنه من أرض اليمن، لكن ليس عندي توثيق لتاريخه، كراماته مرتبطة بحاجات الناس ومشاكلهم، يعنى تقول الرواية إن جد من أجدادنا وكان سواق عربيته عطلت في حتة مقطوعة وخاف على نفسه يتقتل وكان لوحده، والدنيا خرمس (يعنى ضلمة موت) وفجأة لقى شبح لابس عِمة خضرة وحط إيده في ضهر العربية وقال بصوت عال:

إطلع يا ابن الطويلة..

يعني عفريت وشغال في السجل المدني وعارف إن أمه طويلة..

وأنا أظن جزء من الحكايات ناتج عن قعدة حشيش معرفش بعدها فين مفتاح الكونتاكت.

ويصبح للشيخ كرامة حسب مقاس المولد وتاريخه، وفرصة استدعاء الغرباء.

المولد يبدأ الأربعاء ويستمر ستة أيام، والليلة الكبيرة يوم التلات، حول مقام سيدنا الشرباصي قطعة أرض واسعة هنا يقام المولد، تنصب خيام كثيرة، وعلى كل خيمة اسم الطريقة التي تتبعها، وبين الخيام توجد المراجيح ورائعة البالوظة والحمص والحلويات، وطبعًا لا تنسى البنادق وضرب البمب والنيشان.

أيام المولد جميلة، الناس ينامون في المولد حتى صلاة الظهر، ترسل البيوت الطعام كل حسب قدرته إلى المولد، الأكل في المولد بالعبيط، خش أي خيمة وارمي السلام ليُنادي رجل على واحدة اسمها مبيتغيرش "بت يا فتحية هاتي أكل" واحنا زارنا النبي، وبعد الأكل شاي وممكن حجر شيشة تحبس بيه.

ولو ده كان في الليل مفيش مانع من تعميرة حشيش حاجة كده تظبط المزاج وتعلي الجواب، وفتحية حد كده مضروب بمية ما بين الرجال والنساء ومن غير تفاصيل.

الناس في المولد تُصلي العصر أو لا تُصلي، دي نقرة ودي نقرة، لكن بعد انتهاء الصلاة تبدأ حلقات الذكر الميكروفون تبع كهرباء أبو دنيا والمسارع، الإضاءات تحول الليل نهار، خطوط الكهرباء الملونة

يدويًا، اللمبة الكبيرة قوي في نص الحلقة، الأرض مفروشة قش لزوم النظافة، والغفر رايحين جايين لحفظ الأمن..

وها هو الآن يُنادي على شيخ الطريقة قائلًا:

إس.. إس.. إس..

الأربعة الأحباب..

والرابعة الأقطاب

والأربعة حملة العرش والكتاب..

الله... حي

والله... حي

ويجتمع الناس رويدًا رويدًا..

يا سيدى شبل نبل الحب ضاربني

كوى فؤادي وناره دوام تلهلبني

سلكي ضرب رديت ألووو مين؟

أتاري سيدنا الحسين جاي يطببني..

الله... حي

الله... حي

تعلو نغمات الموسيقى والطرب، والناس حلق يتراقصون بحركات من نوع خاص، والتفقير -اسمه كده- مراحل ودرجات وعلوم،

يسيطر على حركة الجموع رجل مخضرم في قيادة الجموع، يميل يمينًا ويسارًا في فلسفة متوارثة ثم يعلا الرتم ويبدأ التنطيط.. هنا سوف أنضم للفريق..

وأنا في العاشرة من عمري، وياخد المايك ابن الأسطى الكبير الذي سيكون شيخ فيما بعد ليطربنا بكلماته..

يا بعيد عن عيني والقلب شايفك

إمتى تديني بوسة من شفايفك

إمته هتجرب سهر الليالي

علشان تعذرني يا أبو قلب خالي..

وحد... وحد... وحد...

موجة التفقير تهدأ قليلًا، صوت آذان العشاء يتعالى، البعض يتساقط على الأرض يزبد كما المجذوب، وتصرخ فتحية غطوه أصل أخوه حضر..

وأخوه الذي حضر في رواية مولانا يعني قرينه من الجن..

انتهى الأذان واسترد الناس عافيتهم، وشيخ أكبر يتعاطى الميكرفون، والبركة في اللمة ياهووو..

الله... حي

الله... حي

قصدت بابك وغير بابك مقصدتوش
قال البابِ مفتوح عمري ما قفلتوش
يا سابل الستر استرها متفضحهاش
ولغيرك إنت أبدًا متحوجناش
والحق يعلى واحنا ع الحق ما نعلاش
يا واخد العهد على عمك يا أخويا ما تعلاش
وزي اللي قبلنا ما قالوا العين ع الحاجب متعلاش
وإذا كنت بتحب حب بس لازم تكون حساس
وفتش على روحك يا حبيبي قبل ما تفتش يا واد ع الناس
وانظر لبيتك ولا تنظرش لبيوت الناس
وال ما ترضهش على لروحك مترضهش يا خوي ع الناس
كلام هقوله يا قلبي ويا ريت تسمعه الناس
ياما كان ع الدنيا فتوات قبلنا قالوا احنا أحسن ناس
صبحوا رمايم يا أخويا يدهوسوا عليهم الناس
واسمع كلام ربنا العزيز ال قاله لجميع الناس
وجنة الخلد هيدخلها من الناس
الكاظمين الغيظ والعافين عن الناس..
الله... حي
هو... حي

ويستمر هذا حتى تخور قوى الناس، يعود إلى بيته من كان من أهل البلد، ويبيت في المولد الغرباء والأصحاب والأخوات في الطريقة..

الليلة الكبيرة نهارًا ومساءً، يبدأ الإعداد لها من الليلة الماضية، هناك عرض وكأنه العرض العسكري، يحكي قصة مِهن قريتنا شرياص، من صباح الثلاثاء القائمون على اليوم يستعدون.

الزفة تطلع من عند الشرياصي أبو خليل تجوب شرياص جميعها، ثم تتجه إلى عزبة النيل العليا، ثم تختم عند الناصرية عند الشيخ الجديد اللي استلفوه من شرياص "الشيخ أبو فراخ" الذي تبدل اسمه بعد الكرامات إلى "الشيخ أبو الحمايل" وقد حضرته حيًا وميتًا.

يبدأ العرض بالموسيقى وصفين من الناس كل واحد يحمل سلاحًا أبيضًا في طول السيف، ولهم مدرب خاص يشير إليهم بطرق الرقص، وبينهم شباب مغروز في لحمهم أسلحة دون نزف دم ودون أن يموتوا، ولا سِحر ولا شعوذة بل قدرات بدنية خاصة وهي كشف على عضلة القلب..

يلي الطابور عم العطار يلبس ثيابًا كلها سوداء وطاقية سوداء، ويدهن وشه ويديه زفت إسود، ومعه كرباج سوداني إسود، وأظنه كان يمثل دور الشيطان، إنه رجل صالح لن تعرفه في الغد لو التقيته، لكن الشرياصي ناداه وربنا ما يكسرلوش بعادة..

سيارات الكارو من خلفه لا عدد لها، هؤلاء نجارين المُسلح، وهؤلاء الحدادين، وهؤلاء الجزارين، وهؤلاء الترزية -وللترزية حدوتة لا وقت هنا لسردها..

كل عربية كارو منصوب عليها ما يشبه الدكان وتعرض مهنة صاحبها في نوع من الفولكلور، وطبعًا أنا وراهم من الضهر لحد عزبة النيل العليا آخر حدودي الاستراتيجية.. ثم أعود.

مال أحدهم يومًا على والدى والزفة تمر من أمامه قائلًا:

- مش هتدفع حاجة يا حاج أبو السيد؟

لكن أبي قال مبتسمًا:

- جامع ربنا أولى يا أبو جمعة.

ولما سألت أبي لماذا لم تشارك قال في هدوئه الذي أعرفه:

- يا ابني سيدنا عمر لما قالوا له إكسي الكعبة بالحرير ((قال بطون المؤمنين أولى..

باقي عن الليلة الكبيرة ساعات والنهاردة الشيخ طلعت جاي وهيقول قصة فيها عِبرة، والبلد عن بكرة أبيها في المولد لكن السيدات من البيوت المتزنة غير مسموح بذهابهن هناك..

عشت في القرية ستة عشر عامًا، لم أستطع أن أحضر مرة واحدة لأسمع الشيخ طلعت، فقد كان النوم يغلبني..

لأسمع في اليوم التالي أن الشيخ طلعت قال حكاية فيها عِبرة وختمها في الآخر..

بهات عنيك تسرح في دنيتهم عنيا..

ومداااااااااااد...

(٤٦)

حكايات المولد

الجزء الأول

حطت رحال القوم في أرض سيدي الدرديري لعمل مولده السنوي، كبير القوم كان المعلم المنجهاوي عين أعيان كفر بسلامتها..

بدأوا في فرش السجاد ونصب الخيام وتعليق الأنوار وسكان الكفر صغارًا وكبارًا ينظرون خالية قلوبهم، وأسروا النجوى، يقول أحدهم:

- والله يا بلد الخير فيكي طول ما أولياء الله الصالحين موجودين، طب دي بركة سيدي الدردير مفيش منها في الدنيا..

تصدق وتآمن بإيه؟ قول بالله ووحد..

أنا هحكيلك حكاية ما حد حكهالي، دي حصلت معايا أنا شخصيًا.. أي والله زمبؤلك كده.. أني من يومين تلاتة كنت راجع بالليل من سلامونت البلد، وقامت العربية عطلانة وكان عليها بضايع وفلوس ناس، وإنت عارف إن سلامونت البلد حتة مقطوعة والشر هناك عالي.

أني قلت بركاتك يا شيخ دردير وكانت الدنيا ليل ولا صريخ ابن يومين فيها، لقيت فجأة راجل لابس أبيض في أبيض وعليه عمامة خضره، راح طالع من الضلمة وقالي "إركب يا أبو العيال"..

أني من خوفي دخلت العربية وحاولت أدور مبتدورش..

راح زاقق العربية وقالت إطلع يا ابن الطويلة..

الله أكبر.. راحت العربية دايرة وجيت صاروخ زمبؤلك كده، وهو ده سيدي الدرديري وأنا ندرت إني أدبح في الليلة الكبيرة..

ويلتفت ليرى امرأة عابرة في زِي الغوازي، فيقف يعترض طريقها:

- إزيك يا بت يا لواحظ؟ إيه الحلاوة دي!! فينك من زمان؟!

فتضحك لواحظ ضحك الغوازي وتقوله:

- ضروري هشوفك يا أبو العيال..

بركاتك يا شيخ دردير..

الغربة وطني
مؤكد بلدنا اللي هي قريتي التي ولدت بها
مش مكان مختلف عن باقي البلدان
لكن بلدك دائمًا لها مذاق خاص
لما أتواصل مع أحد أتى منها
خاصة من جيلي أو أكبر أو أصغر
أشعر بحنين غريب
وكأنني أتكلم مع جزء من أهلي
الشعور ده لاحظته
حتى على مواقع التواصل الإجتماعي
أهل الأرض مثل نباتها
ولأن كلنا أكلنا من نفس الفاكهة
والخضار واللحوم والأسماك
ولأننا سمعنا نفس الحكايات
وحضرنا نفس الفرح ونفس المولد
وسمعنا نفس الكلمات في البيوت والشوارع
والمدارس والمقاهي وحتى الأفراح
يتكون بداخلك انتماء لا تمحوه الغربة
بل سافرت معي كل أحاسيس بلدنا
وأصبحت في الغربة وطني..

☆ تعريف بالكاتب ☆

★ الأستاذ الدكتور عبد الناصر محمد النجار.

★ مواليد قرية شرباص، محافظة دمياط، يناير ١٩٦٧.

★ حصل على بكالوريوس الطب، جامعة القاهرة، عام ١٩٩٠، بتقدير عام امتياز مع مرتبة الشرف.

★ حصل على الماجستير فِي عام ١٩٩٤.

★ حصل على الدكتوراة فِي الجراحة عام ١٩٩٨.

★ أستاذ بكلية الطب منذ عام ٢٠١١.

★ رئيس قسم جراحة التجميل، كلية الطب، جامعة بني سويف حتَّى عام ٢٠٢٣.

★ حاصل على ليسانس الحقوق عام ٢٠٢١.

★ عضو الجمعية العالمية للتجميل **ISAPS**

★ عضو الجمعية المصرية للتجميل **ESPRS**

★ الإصدارات السابقة ★

★ حكاوي المندريش.. "نثريات" عن دار إبهار للنشر والتوزيع ٢٠٢٣م.

★ يوميات طالب من الأرياف.. "سيرة ذاتية" عن دار إبهار للنشر والتوزيع ٢٠٢٣م.

★ البر التاني.. "رواية" عن دار الزيات للنشر والتوزيع ٢٠٢٣م.

★ وصول النيزك.. "رواية" عن دار الزيات للنشر والتوزيع ٢٠٢٥م.

★ الطوفان.. "رواية" عن دار الزيات للنشر والتوزيع ٢٠٢٥م.

★ الحسناء والمجنون.. "رواية" عن دار الزيات للنشر والتوزيع ٢٠٢٥م.

★ مطلوب شعب.. "سيرة ذاتية" عن دار الزيات للنشر والتوزيع ٢٠٢٥م.

المحتويات

الإهداء..... ٥
(١) رغم البعاد..... ٧
عائلتي وطفولة مُبكرة ١١
(٢) الحلوة وهيبة وغالية ١٢
(٣) السر..... ١٤
(٤) مازلت أراها..... ١٧
(٥) أنا وأمي والنوق الحمر ٢٠
(٦) الليلة الكبيرة ٢٣
(٧) أمي.. وهيبة الغالية..... ٢٦
(٨) الصداع الذي أحبه..... ٢٩
(٩) إلى روح أمي الغالية..... ٣١
(١٠) أيام هزمتها الليالي..... ٣٣
(١١) أبي الذي أحب..... ٣٥
(١٢) أنا اللي ضيعت أبويا..... ٣٧
(١٣) إنتي طالق يا أَمْه..... ٤٢

(١٤) ألا هي فين سبحتك يا معلم بيومي؟..... ٤٤
(١٥) جدتي شوق..... ٤٧
الثلاثة الكبار.. إخوتي..... ٤٩
(١٦) أخي محمد الرجل الذي أُحبه..... ٥٠
(١٧) أبي التوأم عبد الرحمن..... ٥٢
(١٨) أخي لطفي الذي هو أبي..... ٥٤
القرآن في بلدنا..... ٥٧
(١٩) القرآن في بلدنا..... ٥٨
(٢٠) أنا والقرآن..... ٦١
(٢١) بداية الرحلة مع القرآن..... ٦٤
(٢٢) إقرأ يا شيخ عبد الناصر..... ٦٨
من علمني حرفًا..... ٧٣
(٢٣) مولانا الأدهم..... ٧٤
(٢٤) إسماعيل الطحان زميلي، شيخي، قدوتي وصاحبي..... ٧٧
(٢٥) الأستاذ أحمد الكفراوي "رحمه الله"..... ٨١
(٢٦) الأستاذ رجب الخميسي "رحمه الله"..... ٨٣
(٢٧) أستاذ حامد خليفة "رحمه الله"..... ٨٧
رمضان في بلدنا..... ٨٩

(٢٨) رمضان في بلدنا..... ٩٠
(٢٩) سنة أولى صيام..... ٩٥
أعياد بلدنا ٩٩
(٣٠) العيد الصغير..... ١٠٠
(٣١) ليلة العيد الكبير..... ١٠٤
(٣٢) العيد فى بلدنا (١)..... ١٠٨
(٣٣) العيد في بلدنا (٢)..... ١١٢
(٣٣) العيد في بلدنا (٣)..... ١١٥
عادات بلدنا ١١٩
(٣٥) أفراح بلدنا..... ١٢٠
(٣٦) أحزان بلدنا..... ١٢٦
(٣٧) المواسم في بلدنا الود المفقود..... ١٣١
(٣٨) الختان في بلدنا الذكور أولًا..... ١٣٤
(٣٩) ختان المرأة بين التقاليد والعلم والدين وما كان يحدث في بلدنا..... ١٣٧
(٤٠) الكورة في بلدنا..... ١٣٩
(٤١) الشتا في بلدنا..... ١٤٦
(٤٢) عفاريت بلدنا..... ١٥٠

(٤٣) حدوتة يا ريتها ما اتحكت أُمنا.. الغولة ١٥٤
(٤٤) الحشيش والإيمان وبعض من الأفيون..... ١٥٦
(٤٥) مولد بلدنا..... ١٦١
(٤٦) حكايات المولد الجزء الأول..... ١٦٨
☆ تعريف بالكاتب ☆ ١٧١